17 eme Année No. 851

Lundi — 24 — 10 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ محرم سنة ١٣٦٩ — ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية :

خطبـــة الاســـتقبال

للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

سيدى الرئيس . سادتى .

عندما علمت بأننى سأقوم مقامى هذا أستقبل حضرة الأستاذ أحمد حسن الزيات ، شعرت فى نفسى غبطة وارتياحاً ، لا لأنى سأجد فرصة للتحدث عن زميل كريم وأديب كبير بمناسبة اختياره عضواً فى المجمع فحسب ، بل لأنى ذهبت مع الذكرى إلى ماض بعيد أتأمل فيه صوراً عزيزة لاحت لى مع صورة هذا الصديق الذى عرفته ونحن بعد عند الأفق الشرق من الحياة وما زلت أنعم بصداقته إلى اليوم .

عرفت الأستاذ الزيات منذ خمس وثلاثين سنة ، وكنا عند ذلك زملاء فى التدريس بمعهد أهلى ضم نخبة من صفوة الأصدقاء الفضلاء هم اليوم من أعز من تفخر البلاد بهم .

رأيت منه أول ما رأيت شاباً أنيقاً فى ثيابه الشرقية الجميلة ، وكان وديعاً كما هو اليوم ، نبيلاً فى حديثه ، هادىء الصوت إذا تكلم ، يغضى حياء وهو يفيض جداً وعلماً وأدباً .

ثم زادت معرفتى به فعلمت أن لحياته قصة — قصة شاب اتجه إلى العلم فى الأزهر الشريف وتعلق بالأدب فتلقاه على أعذب موارده ، ثم تعلم الفرنسية ودرسها على أكبر أساتذتها ، وتلقى دراسة الحقوق فى مدرسة الحقوق الفرنسية ، فكان إعجابى به لا يعدله إلا عجبى منه ، إذ كان مثالاً فذاً بين من عرفت من المعلمين . وجمعتنا الصداقة وقربت بين قلوبنا ، فكنا نجد فى عملنا معاً من المتعة ما جعل صورة ذلك المعهد الأهلى عالقة على مر الأيام بقلوبنا .

وأنا إذ أنظر اليوم إلى الوراء عبر هـذه السنوات الطويلة كأننى مسافر وقف حينا على ربوة يتأمل الفدافد التى قطعها وهى تبدو تحت بصره غامضة يغطيها ستار من الضباب يحجب شعابها الدقيقة ومساربها الصغيرة ولكنه يجمعها فى لحظة واحـدة فى منظر رائق يحرك القلب بروائه .

وقد كان الأستاذ الزيات أحد أفراد قلائل خدموا البلاد أكبر خدمة فى التعليم وفى التأليف ، كما أنه واحد ممن أحدثوا فى اللغة العربية مناهجها الجديدة فى التفكير ، وأبدعوا لها أساليبها الطريفة فى الكتابة والتعبير . ولن نستطيع أن نعرف مقدار ما أدى للبلاد واللغة من الخدمات هو وأمثاله من رواد الأدب والفكر إلا إذا عدنا بالذاكرة إلى أوائل هذا القرن العشرين .

كانت مصر فى أول هذا القرن ما تزال خامدة راكدة من أثر ما أصابها من الصدمات فى القرن الماضى . ثم دب النشاط

فيها شيئاً فتحركت أول حركتها بطيئة ضعيفة وسرى فيها دم الحياة على هينة كما يسرى أول نسيم الفجر بعد ليلة طويلة من ليالى القيظ . وكان من أول مظاهر هذا العهد الجديد إعادة الكرامة إلى اللغة العربية الشريفة : بعد أن قضت ردحاً من الزمن غريبة فى ديارها قد غلبتها الأمية على أمرها ونحتها تفاهة الحياة عن عرشها .

وفى هذه الحقبة الخطيرة من حياة اللغة العربية كان الأستاذ الزيات وصحبه يجاهدون لنصرتها فى تلك الدار المتواضعة المطلة على ميدان بيبرس .

وجد أن الأدب يلقن لتلاميذ المدارس على طريقة لا غناء فيها ، إذ كانت الدروس لا تزيد على ذكر أسماء الشعراء والكتاب ، يساق أحدها بعد الآخر سرداً ، ويورد لكل منهم بيت أو بيتان مما قال ، وسطر أو سطران مما أنشأ ، ولعل هذا لا يكون من خير ما قال أو كتب ، ثم يوصف بعبارة مدح عامة تكاد تتكرر بعد كل من تلك الأسماء ، حتى لكأنى بالطلاب يخرجون من دراستهم على أن الشعراء والكتاب صور تعيش فى الوهم فى عالم لا علاقة له بهذه الحياة ، بل لقد حكم عليها بأن تنزوى فى معاهد التعليم ذاتها ، فكانت تدرس كمادة ضئيلة من مواد الدراسة ، على حين كانت اللغة الأجنبية تحتل مكان الصدارة فى سائر الدروس .

وبدأت الأنظار تتجه إلى اللغة الكريمة وارثة التراث العظيم نلتمس فيها ومنها غذاء الفكر ورى القلب ، ولكنها كانت فى حاجة إلى من يترجمونها .

كان لا بد للغة العربية عند ذلك من أن تجد من بنيها من يحملونها تستقل بنفسها ، وتضطلع بحملها ، وتؤدى رسالتها .

فكانت أحوج ما تكون اللغة إلى من يطوعونها لأغراضها ، ويعيدون إليها مرونتها وقوتها . كانوا جميعاً أعظم الكتاب والشعراء شأناً وأعلاهم قدراً ، يغوصون على المعانى فيخرجون منها بالدرر ، ويبدعون فى البلاغة إبداعاً يجب على الطلاب أن يؤمنوا به وإن لم يروا آية تدل عليه . فلم يكن فيما يدرس من آداب اللغة ما يجعل لأحد منهم خصيصة تميزه فى فكره أو فى أسلوبه ، ولا ما يجعل لأحد منهم مسلكا سلكه رائداً أو سار فيه مقلداً . بل لم يكن الطالب يعرف أى هذه الأسماء جاء أولا ، وأيها جاء أخيراً ، ولا أيها الذى ابتدع فكان له فضل السبق إلى الطريق ، وأيها الذى اتبع وتفنن فكان له فضل التهذيب والإبداع والتمام ؟ !

فكان للزيات فضل السبق إلى تأليف كتاب جديد فى الأدب العربى سار فيه على نهج واضح ، فبين معنى الأدب ومناهجه ومدارسه وتحدث فيه عن كل كاتب وكل شاعر حديثاً طريفاً يصوره فيه تصوير الأحياء الذين عاشوا على هذه الأرض وأصابوا من ضعف البشر وقوتهم ومن سموهم وإسفافهم .

ولست أنسى ساعة دفعنى إعجابى بذلك الكتاب إلى أن تحدثت عنه فى حماسة الشباب على مسمع من بعض الزملاء ، فحسب أحدهم — عفا الله عنه — أننى أقصد التعريض به وأكيل المدح لصديقى لكى أغيظ به لا لكى أعبر عن رأى خالص ، فهبت على منه عاصفة شديدة من الحنق كانت بمثابة احتفال رائع بميلاد ذلك الكتاب الجديد .

وقد مضى الأستاذ الزيات فى سبيله بعد ذلك يؤلف فى الأدب والنقد ، وكان له أثره المشكور فى توجيه دراسة الأدب ، وفى مقاييس النقد ، ومؤلفاته فى هذا الباب غنية عن أن أعيد ذكرها فى هذا المقام .

ولكن جهاده فى خدمة اللغة العربية من هذا الوجه لم يكن كل جهاده الأدبى ، بل لقد أحسب أنه لم يكن الجانب الأكبر من نشاطه ، فهو مترجم القصتين الخالدتين : « آلام فرتر » و « رفائيل » ، والأولى للأديب الألمانى العظيم جوت ، والثانية للأديب الفرنسى الكبير لامارتين . ثم هو صاحب القلم الدائب الذى يمتاز بالتجويد وحسن البيان يختص به صحيفة « الرسالة » منذ نشأتها سبعة عشر عاماً من عمرها الطويل إن شاء الله .

فإذا كنا اليوم نرى فى بلادنا حركة أدبية نامية ، ومواهب فنية تتطلع إلى الكمال وتسير نحوه قدماً ، فما ذلك إلا من آثار جهاد هذا الجيل العامل — جهاد الأستاذ الزيات وصحبه الذين شقوا سبيلهم مابين الصخور الوعرة والصحارى المجدبة ، وأسالوا عصارة قلوبهم ليحيلوا الوعر المجدب إلى خصوبة وارفة الظلال ، وليهيئوا للمستقبل آفاقاً جديدة أرفق جواً وأعذب مورداً .

وإذا كان بعض شباب الأدباء يندفعون أحياناً مع القلق فى أحاديثهم عن شيوخ الأدب ، فإن عليهم أن يذكروا أن هؤلاء

الشيوخ قد أهدوا إليهم من الثروة الفنية ما لم يسعدهم الحظ بمثله في بدء حياتهم ، وأن على الشبان واجباً لا يستطيعون أن يتخلوا عنه ، وهو أن يبلغوا من الإجادة الفنية أعلى مرتبة ، إذ لا عذر لهم في التخلف وقد شق الشيوخ طريقهم من قبل ومهدوها لهم وعبدوها .

وقد أضاف الأستاذ الزيات بترجمته فرتر ورفائيل أثرين عظيمين إلى التراث الفني للغة العربية . ولا أعدو الحق إذا قلت إنهما قد أصبحا قطعتين من الأدب القومي .

وقد نسأل أنفسنا : أكنا أشد حاجة إلى التأليف أم إلى الترجمة في مثل حالنا ؟ وقد يقال : إن الترجمة عن اللغات الأخرى تنقل إلينا مشاعر قوم غير قومنا ، وتعبر عن خلجات نفوس غير نفوسنا . وقد يقال : إن الشعوب الناهضة أجدر بأن تصور مشاعرها وتتعمق ضمائرها ، وأن تنشئ أدبها صغيراً حتى ينمو معها ويبلغ مع الأيام مرتبة التمام في التعبير عن آلامها وآمالها .

ولكن الأدب العالمي تراث مشترك بين الشعوب جميعاً ، والأديب النابغ لا يكتب لأمة من الأمم دون الأخرى ، فهو إنسان يكتب لبني الإنسان ، ومن حقه وحق الإنسانية عليه ألا يعد في أمة من الأمم أجنبياً . وقد كانت اللغة العربية في أمس الحاجة إلى جهاد الأستاذ الزيات في ترجمته ، بل إنها ما تزال إلى اليوم في حاجة إلى تأمل هذا المثال الذي ضرب به في الترجمة والحرص على احتذائه عند نقل الآداب الأجنبية . ما زلنا إلى اليوم ننقل من تلك الآداب ولن نستغني عنها في يوم من الأيام ، بل إن حاجتنا إلى الترجمة تزداد كلما زادت ثروتنا الأدبية اتساعاً وغزارة ، وكلما زاد اتصالنا بالفكر الإنساني في أنحاء الأرض قوة ولكن هذا النقل لا يضيف شيئاً إلى ثروتنا الفنية إلا إذا توفر عليه من كان له أهلاً من خاصة الأدباء الذين يملكون ناصية البيان .

قال الدكتور طه حسين بك في مقدمته لترجمة آلام فرتر « والترجمة في الفن والأدب ليست وضع لفظ عربي موضع لفظ أجنبي ، إذ الألفاظ شديدة القصور من وصف الشعور في اللغة الطبيعية فكيف بها في لغة أخرى . إنما الترجمة الفنية والأدبية عبارة عن عملين مختلفين كلاهما صعب عسير : الأول أن يشعر المترجم بما شعر به المؤلف وأن تأخذ حواسه وملكاته من التأثر والانفعال نفس الصورة التي أخذتها حواس المؤلف وملكاته إن صح هذا التعبير . والثاني يحاول المترجم الإعراب عن هذه الصورة والافصاح عن دقائقها وخفاياها بأشد الألفاظ تمثيلا لها وأوضحها دلالة عليها .

وخلاصة القول أن المترجم يجب أن يجتهد ما استطاع لا أن ينقل إلينا معنى الألفاظ التي خطتها يد المؤلف بل في أن ينقل إلينا نفس المؤلف جلية واضحة تتبين فيها من غير مشقة ولا عناء ما أثر فيها من ضروب الإحساس والشعور » .

وقد وفى الأستاذ الزيات حق الترجمة بما لا مطمع بعده لمستزيد ؛ فكانت عنايته باللفظ ودقة أدائه ، لا يعدلها إلا عنايته بالتركيب وبلاغة تعبيره .

وهو ممن يعرفون للألفاظ حقها . وقد بين رأيه في هذا الأمر بياناً وافياً في كتابه (دفاع عن البلاغة) إذ قال :

« وفي اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع وخلق ؛ لأن الكلمة ميتة ما دامت في المعجم ، فإذا وصلها الفنان الخالق بأخواتها في التركيب ، ووضعها في موضعها الطبيعي من الجملة ، دبت فيها الحياة ، وسرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون ، وتهيأ لها البروز . والكلمة في الجملة كالقطعة في الآلة إذا وضعت في موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الآلة وإلا ظلت جامدة .

وللكلمات أرواح كما قال موباسان . وأكثر القراء ، وإن شئت فقل أكثر الكتاب ، لا يطلبون منها غير المعاني . فإذا استطعت أن تجد الكلمة التي لا غنى عنها ولا عوض منها ، ثم وضعتها في الموضع الذي أعد لها وهندس عليها ، ونفخت فيها الروح التي تعيد إليها الحياة وترسل عليها الضوء ، ضمنت الدقة والقوة والصدق والطبيعية والوضوح ، وأمنت الترادف والتقريب والاعتساف ووضع الجملة في موضع الكلمة ؛ وذلك في الجهاد الفني غير قليل » .

ولا شك في أن الأستاذ قد أصاب في هذا القول لب الحقيقة ووضع به أول حد للبلاغة .

وإذا كنت أحب أن أضيف إلى هذا القول شيئاً فذلك أن أخلص منه إلى نتيجة . فاللفظ كما قال لا يزيد على أن يكون جاداً ما بقي في المعجم ، ولن تدب فيه الحياة إلا إذا وضع في موضعه من العبارة فأدى المعنى الذي يقصده الكاتب منه . ولن يستطيع كاتب أن يقحم لفظاً على غير المعنى الذي تعود أن يمثله .

بل إنه لن يستطيع أن يعيد الحياة إلى لفظ إلا إذا كان قد اتخذ من قبل صورة بعد صورة جملته أهلا لأن يعبر عن المعنى الذي يريده الكاتب . فالاستعمال يخلع على الألفاظ هالة من المعاني التي لا تستطيع المعاجم أن تصورها ، وبراعة الكاتب إنما تظهر في ترويض اللفظ حتى يلقي على العبارة كل ظلال معناه فيمكنه من إثارة الشعور الذي يريد إثارته في نفوس القراء إذا ما أدركته الأبصار ووعته الأسماع .

ومن الألفاظ طائفة تقبع جامدة بين صفحات المعاجم قد حاول اللغويون أن يحددوا المعاني التي فهموها منها إذ كانت حية تؤدي واجبها في التعبير والبيان . ولكنها بقيت هناك دفينة مدة عصور طويلة لم تنبث فيها الحياة في كتاب ولم يستخدمها أحد في بيان معنى من معاني الحياة . فمن عمد إلى إعادة الحياة إلى هذه الألفاظ لم يأمن أن يقحمها في غير مادتها فتبقى جامدة ميتة لا تبعث في أحد معنى ولا شعوراً .

فأجدر الألفاظ بالتعبير الصحيح الفني هي أقربها إلى الحياة في استعمال أهل هذه الحياة .

ومن الكتاب من يذهب إلى أن من الألفاظ ما هو شريف ومنها ما هو مبتذل .

ولا شك في أن هذا صحيح من وجه واحد ، فالسر في شرف الألفاظ أو ابتذالها ما هو إلا تاريخ حياتها السابقة وما خلعه عليها الاستعمال من ظلال المعاني في التراكيب التي استخدمت فيها والصور التي اختصت بادائها .

ولكن الشرف لا يقوم باللفظ من أجل غرابته أو ضخامة جرسه ؛ فذلك سوى شرف زائف يشبه شرف السوقي الذي يعمد إلى غرائب الثياب ليخلع على صورته ما يجذب إليه الأنظار . فمن الألفاظ ما يعده بعض الكتاب كريما فإذا عمدوا إلى استخدامه في بيانهم بقي في عزلة لا يؤدي المعنى المقصود منه أو يبقى نافراً شامساً يضيع جهد الكاتب هباء .

والأديب إذا كان صادق الحس ممتلئ القلب من المعنى الذي يريد أن يعبر عنه لايستخدم في عبارته لفظاً إلا وهو يقصد من ورائه صورة.

وليس من السهل على المقلد أن يخلع على أسلوبه الجلال بأن يستعير ذلك اللفظ في عبارته ، بل أن ذلك يعرضه لأن يخطئ البيان إذا لم يكن في اختياره للفظ منبعثاً عن إحساس صادق يهديه سبيله . ففي هذا الإحساس وصدق التعبير عنه يكمن الإعجاز في الأداء الفني . هذا الاحساس الصادق هو الذي هدى شوقي إلى تعبيره الرائع إذ قال :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

فهذا البيت وإن كان يفيد في جملته أن الحياة الإنسانية زائلة فانية يحمل فوق ذلك فيضاً من الأحاسيس الدقيقة التي تدرك من ظلال المعنى . فدقات قلب المرء لا تكون إلا مع العاطفة المشبوبة والأشجان الثائرة . ووحي الشاعر يحمله في سرعة البرق إلى تأمل بطلان الحزن وإلى أن كل شيء زائل حتى هذه الآلام الشديدة التي تنزلها الكوارث الفادحة ، والحزن وإن كان شديداً عند فقد الأحبة يحمل معه خاطرة أخرى أكثر تحريكا للقلب من الحزن نفسه ، وذلك أن كل شيء فان ، وأن الوجود دائب على تقريب الإنسان من الفناء لحظة بعد لحظة في غير توقف ولا هوادة .

وقال شاعر آخر :

وإني لأستغشي وما بي نعسة ... لعل خيالاً منك يلقى خياليا
وأخرج من بين الجلوس لعلني ... أحدث عنك النفس بالليل خاليا

فما بين هذه الألفاظ هالات مختلفة من المعاني وهي سر ما تحدثه من الأثر في النفوس . فهذا المحب يستغشي وليس به نوم ؛ وهو يخرج من بين الجلوس فجاءة كما يفعل من كان مضطرب الخاطر لا يأنس إلى المجامع الصاخبة ؛ وهو يطلب خيال الحبيبة ليلاقي خياله ؛ وهو يحدث نفسه إذا ما خلا إليها — أليست هذه صورة رجل قد سلب لبه واختبل عقله ونسي كل شيء في الحياة إلا صورة الحبيبة التي استولت على فؤاده ؟ فهو لا يخبر الناس بحقيقة يريد أن يطلعهم عليها ، بل يرسم صورة لما أصابه من الاضطراب والقلق والخبل .

ولأضرب مثلاً قصيراً آخر للدلالة على أن شرف الألفاظ كامن في ظلال معانيها ، وأن هذه الظلال لا يستطاع نقلها في تعسف من عبارة إلى أخرى .

قال الأبيرد اليربوعي في رثاء صديق اسمه (بُرَيد) :

أحقاً عباد الله أن لست لاقياً ... بريداً طوال الدهر ما لألأ العفر

فهو يسأل في لهفة أحقاً لن يرى صديقه مرة أخرى وأنه سوف

يقضي سائر أيامه وحيداً محروماً من صحبته وإيناسه . ولكنه لا يقول في ذلك أنه لن يراه ما طلعت الشمس ولا ما هبت الريح ولا ما انعقد السامر في الحي ، بل يقول إنه لن يراه طوال الدهر ما لألأت الظباء العفر بأذنابها . فأين وجه البلاغة هناك ؟ أليس ذلك أنه كلما تذكر صديقه عادت إليه ذكرى ساعات المتعة الصريحة القوية التي كان يحسها في صحبته إذ يخرجان معاً إلى الصيد ، حتى إذا ما لاحت لهما الظباء العفر تحرك أذنابها وثب قلباهما طرباً وسددا إليها السهام حتى يظفرا بصيد منها ثم يجلسان معاً يطربان سائر يومهما بما أصابا من لذة الصيد والفتوة ؟ فلو أراد كاتب آخر أن يستعير ذلك اللفظ في تعبيره عن الألم لفقد صديق حميم لم يكن يخرج معه إلى صيد الظباء في الأيام الصافية لكان جديراً بأن يخطئه التوفيق . فليس هذه الألفاظ بعينها التي تخلع البلاغة على عباراتها وإنما هي ظلال المعاني الخفية التي حملت لتلك الألفاظ دلالة وأكسبتها شرفاً . ومن الألفاظ الأخرى ما لا يقل في الأداء روعة عنها إذا لم يزد عليها في التعبير عن الحسرة للمتعة المفقودة في مواطن أخرى . فالصديق الذي كان يحس المتعة في صحبة صديقه إذ يمرحان على شاطىء البحر مثلاً لا يزيد على أن يكون سخيفاً إذا رثى صديقه قائلاً « أحقاً أني لن أراك طوال الدهر ما لألأ النفر » وإنما البلاغة في أن يقول مثلاً « ما لمست أمواج البحر الفاترة في أيام الصيف الوديعة » فإذا كان الصديقان ممن يرتادون مجاهل الصحراء معاً أو يجولون بين الغابات الماتية ، كان الأجدر بمن يريد أن يعبر عن حزنه لفقد صاحبه أن يقول « أحقاً لن أرى صديقي ما هبت الرياح بين الأغصان ، أو ما غابت الشمس وراء الكثبان .

ويمكن أن نخلص من هذا إلى أن خير الألفاظ وأشرفها ما كان جديراً بتأدية المعنى واضحاً في غير عسر ، وما كان فيه ظلال من المعاني توحي بالأثر النفسي الذي يريد الكاتب أن يبعثه في نفس قارئه . وذلك لا يتأتى إلا إذا كان اللفظ حياً تحيط به هالة من المعاني يستمدها من الاستعمال في الحياة . وإذا كانت الكلمات غريبة بعيدة عن الاستعمال كانت أحرى بالتقصير عن تأدية حق البلاغة في التعبير .

وقد سار الأستاذ الزيات على هذه السنة في أسلوبه سواء أكان ذلك في ترجمته أم في إنشائه . غير أنني أقول في شيء من التردد أنه يحاذر أن يستخدم لفظاً يظنه سوقياً أو يظن أن القارىء يراه سوقياً . فهو إذا تحدث عن الماء البارد قال الماء الخَصِر ، وإذا ذكر عبوس الوجه قال ابتساره وهو يقول : لو عَرَّفت لهذا الخطب لتبدد يأسها ، يقصد أن يقول لو صبرت للخطب وتجلدت ويقول : اليوم وجدت بي إقهاء عن الطعام ؛ وانماث قلبي كما ينماث الثلج ؛ وفرقتهم عُدواء الدار . وإني أرى للوزير صَوْرة إلى منذ زمن طويل . وما أظنه يعمد إلى هذا إلا لغاية مضمرة في نفسه ؛ فقد رأى بعض الكتاب إذا ترجموا قطعة من آيات الفن أسفّوا في اختيار ألفاظهم بدعوى التسهل ، وما هم من السهولة في شيء سوى التقصير عن شأو البلغاء ؛ فإنهم لا يختارون السهل الفصيح ولا يجعلون اللفظ في موضعه الذي خلقه الله له ، بل يقحمون الألفاظ في غير مواضعها فتنفر منهم ولا تجود لهم إلا بصور تافهة تضيع لب المعنى وتشوه المشاعر العالية التي يدعون أنهم ينقلونها. فهذا التحري الذي يتحراه الأستاذ في اختيار ألفاظه ليس سوى احتجاج على من يقحمون أنفسهم فيما لم يكونوا له أهلاً . على أن أسلوب الأستاذ الزيات مع هذا التخير لألفاظه سهل واضح عذب في الإمتاع دقيق الدلالة على معناه .

والآن أختم كلمتي كما بدأتها بالترحيب بالأستاذ الجليل والابتهاج بالمودة إلى زمالته في هذا المجمع الموقر . وأسأل الله تعالى أن يسدد خطاه وخطانا في خدمة لغتنا العربية الشريفة والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد فريد أبو حديد

صرخة العبقرية !

للأستاذ راجي الراعي

هزّني أمس وأنا أتنقل في دنيا الجبابرة صراخ هائل عنيف كاد يمزق الأثير ويهتك حجاب الأفق فأسرعت إليه فإذا هناك ستة عباقرة يستجيرون بالسماء والأرض ، وكأنهم مجموعة آفاق ماطرة وبراكين ثائرة تختلط فيها الحمم المشتعلة بالسيول الهتانة فسألت : ما بكم أيها المنتحبون الثائرون ومن أنتم ؟ فكشفوا لي صدورهم فإذا هي تحمل هذه الفظائع :

— أنا جائع واسمي (هوميروس) !

— أنا ظمآن واسمي (فرجيل) !

— أنا عريان واسمي (ديوجينس) !

— أنا أعمى سجين واسمي (المعري) !

— أنا مهشم الجسم واسمي (غاليله) !

— أنا يا عباد الله في الشارع وقد طردني المالك ولا بيت لي آوي إليه واسمي (سبينوزا) !

ففار دمي وأطلقت من أعماق الروح صرخة حمراء مخيفة اهتز لها ضمير الزمان ، وهجمت وفي جبيني حمى الانتقام على الخبازين ، وجمعت ما لديهم من الخبز وطرحته أمام (هوميروس) صائحاً : كل أيها الجائع ، إن خبز الخبازين هو لك لأنك تغذّي الخلائق .

وهرعت إلى الجبال وأطلقت الينابيع أمام (فرجيل) صائحاً: اشرب أيها الظمآن فهذه الينابيع هي بعض ما تدفق بها وحيك وإلهامك . .

وتصديت للبلهاء المرتدين أفخر الحلل ونزعتها عنهم صارخاً : إن (ديوجينس) الفيلسوف عريان فتخلوا له عن حللكم أيها البله المتعصبون ..

ووثبت إلى الشمس وانتزعت منها ألف شعاع وأسرعت بها إلى (المعري) ليستعين بها ، ويرى بعينه الشمس التي تضطرم في عبقريته ..

ورجوت من الخالق أن يوقف دورة الأرض احتجاجاً على تعذيب (غاليله) الذي قال بها ولم يؤمنوا به ..

وشهرت سيفي على الملاّكين وحملقت مزمجراً : افتحوا أبوابكم (اسبينوزا) ، إنه أحق منكم ببيوتكم فهو المالك الحقيقي ، المالك الأكبر ، مالك العقول والقلوب ..

وتنفس أبطالي الصعداء وراحوا يقبلونني قبلة العبقرية والوفاء

أيها الناس ، أيها الناس ! إن أبطالكم يموتون من الجوع والظمأ والعرى والظلم وهم مفاخر تاريخكم وعناوين أمجادكم ...

إن الأمة التي تقتل نابغها جوعاً لا يجوز أن ينبت الزرع في أرضها ..

إن الأمة التي يموت فيها الفن والفنان ظمأ لا حق لها في الماء

إن الأمة التي تبقي فيلسوفها عرياناً يمزق ثوبها التاريخ ..

أيها الناس إن الإنسانية التي تفخرون بها قامت على سواعد الكتاب والشعراء والفلاسفة والفنانين والمفكرين الذين تشق سيوفهم كثافة الدهور وترنح بذكرهم الأجيال ..

أيها الناس ، أيها الناس ! اعترفوا بالجميل وكونوا إنسانيين عادلين ..

راجي الراعي

صور من الحياة :

زوجة تنهـــار !

للأســـتاذ كامل محمود حبيب

هب الفتى من فراشه – لدى مطلع الفجر – يستقبل هبّات النسيم اللينة الرقيقة ويستمتع بأنفاس الصبح الندية وهي تمايث فلول جيش الليل المتدافعة نحو الغرب في رهبة وفزع . ووقف يتأمل ماء النيل وهو ينسرب متدفقاً إلى غير غاية ، ويرنو إلى الأشجار الباسقة على الضفة الأخرى وإن أغصانها المتعانقة لتترنح في فتور وتراخ كأنما تجاهد لتلقي عن نفسها لباس النوم الكثيف . وأحس الفتى – وهو في مكانه – بالقوة تتدفق في أعصابه وبالنشاط يمرح في إهابه وبالنشوة تسري في دمه ، ونسي يوم أن كان طفلاً رطيب العود لين العظم مسلوب القوة واهي الإرادة وقد أصابه اليتم والفقر في وقت معاً ، ففقد أباه صغيراً ليعيش إلى جانب أمه وحيدين في ركن من دار ، ونسي يوم أن كان صبياً تضنيه المسكنة وتفريه الذلة ، يحس وطأة الشظف ولأواء الضيق، يتوارى – أبداً – عن أترابه خشية أن تقتحمه عين وهو في أسمال بالية وضيعة ، وخيفة أن يناله لسان سليط وهو يقضم كسرة خشنة تافهة . ونسي يوم أن صار شاباً ينطوي على نفسه في تخاذل وهوان لأنه لا يستطيع أن يتطاول إلى مكانة رفاقه وهو خاوي الوفاض صفر اليدين . لقد كانت أمه تستفرغ وسع الطاقة لتدفع ثمن مكانه في المدرسة ثم يصيبها البهر والإعياء فلا تستطيع أن تحبوه بالجديد من اللباس ولا اللين من العيش ... فعاشت إلى جانبه تدفعه إلى الغاية التي تصبو إليها نفسها وتصبر هي على الجوع والعري في رضى وإيمان .

أما الآن فقد تخرج في مدرسة المعلمين العليا وعين مدرساً في مدرسة (كذا) الإبتدائية ، فهو يستطيع أن يحبو نفسه بالكريم من الطعام والشريف من اللباس في غير عنت ولا إرهاق ، والدنيا رخاء . فراح يتأنق في مأكله وملبسه ومسكنه ويغدق على نفسه من أفانين النعمة ما أعجزه أن يناله في عمر الفاقة والتربة . وأحس اللذة والسعادة في حياته الجديدة لا يشوبهما إلا أنه فقد أمه ... القلب الوحيد الذي يتوثب حناناً وعطفاً ويفيض شفقة ورحمة . فعاش من بعدها وحيداً ، لا يصحبه في موكب الحياة إلا خادمه وهو فتى ريفي هرب من جفوة الحقل ليسكن إلى رخاوة المدينة ، وإلا بعض زملائه في المدرسة .

واستشعر الفتى الوحدة توشك أن تقض مضجعه وتعكر صفو أحلامه وتقذف به في بيداء من الخواطر المضطربة ، فهو لا يحس عطف الأب وقد ضمه القبر منذ عمر طويل ، ولا حنان الأم وقد ودعته الوداع الأخير منذ سنوات خمس ، ولا رقة الأخ وهو وحيد أبويه . أما أهله فقد تنكروا له يوم أن كان في شظف العيش ورقة الحال ، فآلى على نفسه ألا يزور ديارهم أبداً وألا يعطف على فقير فيهم وألا يستعين بذي جاه منهم أو يلجأ إلى ذي مال . ومضت الأيام على نسق واحد وقد أقفرت من قلب ينبض بحبه أو نفس تضطرب بالعطف عليه فذاق لذع الوحدة ومرارة العزلة.

وجلس الفتى – ذات يوم – إلى زميل له يحدثه حديثه وإن نبرات صوته لتكشف عن أسى دفين عاش في قلبه منذ أن كان طفلاً ، ونما على السنين وربا واشتد غرسه ، وإن عبراته المترقرقة لتنبئ عن شجو يقطع نياط القلب ويقد أوتار الفؤاد . ورق صاحب لصاحبه فقال الزميل « أرأيت – يا صاحبي – مرض نفسك وعلة قلبك ؟ إن لكل داء دواء يستطب به ! » قال في لهفة « وما دواء دائي ، وقد استعصى علي أن أطب له ؟ » قال « لا ضير عليك ، إن الزوجة والولد هما دواء قلبك وشفاء نفسك ، إنهما ولا ريب يمسحان على آثار الضيق ، ويمحوان علامات الضنا ، وينفثان في الدار البهجة والنور ، ويبعثان في القلب السرور والنشوة » فقال الفتى « لا عجب ، ولكن أنى لي أن أجد الزوجة وأنا أمقت أهلي وأبغض عشيرتي وأفزع عن ذوي قرابتي » قال « أتخشى أن تتزوج من أهلك وفي الدنيا مراد وسعة » قال « أما أنا فلا أعرف داراً أجد فيها شفاء علتي » قال « ماذا ترى في ابنة الأستاذ فلان ؟ » قال « هي فتاة لا أستطيع أن أسكن إليها ؛ فأنا أرى في أبيها الرجعية والزمت وضيق العقل وسفاهة الحلم ، والفتاة في كنف مثل هذا الأب تستشعر السجن والذل معاً ، فإذا انفلتت من سجنها انفلتت من قيود الشرف والكرامة ».

قال « هذا وهم باطل ، ولكن نفس العزب تصور له خواطر تافهة مضطربة لتقعد به أن يكبل نفسه بالزواج » قال الفتى « لطالما طافت الفكرة بذهني فما دفعني عنها إلا أنني لا أجد من يتحدث بلساني ويكشف عن ذات نفسي » فقال الزميل « لاعليك ، فأنا — منذ الآن — رسولك ! »

وانطلق الرجل يمهد السبيل لصديقه الفتى ، فما لبث الأب أن اطمأن إلى الرأي وأسلس للخاطرة فسميت الفتاة على فتاها .

* * *

وذاق الفتى — لأول مرة في حياته — لذة الحياة وهدوء النفس وراحة الضمير وسعادة العيش ، فزوجته فتاة في ربيع العمر ورونق الجمال ، تتألق شباباً وبهاء ، وتشع نوراً وضياءً ، وهي زوجة من طراز ممتاز ، ترعى شأن الزوج وتحفظ ودّه وتقوم على حقه ، فيها اليقظة والنشاط وفيها الرقة واللطف . فهي تبذل جهد الطاقة لتهيء داراً أنيقة فيها النظافة والنظام وفيها الهدوء والراحة وفيها السعادة والطمأنينة . وعاش الفتى إلى جانب زوجته يسعد بها ويرتاح إلى لقياها . ثم أقبل الطفل الأول يملأ الدار بهجة ورواء ، ويشد قلباً إلى قلب ويضم فؤاداً إلى فؤاد ، وانطوت الأيام

وجاءت الحرب تنذر بخطر عظيم ، وجاء الغلاء يريد أن يحطم سعادة قلبين ، فعلت وجه الفتى غبرة قاتمة حين رأى راتبه الضئيل يتداعى أمام صفعات الغلاء وهي قاسية عنيفة ويتهاوى أمام حاجات العيش وهي كثيرة ملحة . والحكومة تنظر ولا ترى ، وتتحدث ولا تفعل .

وأفزع الفتى أن يرى سعادته توشك أن تنهار لضيق ذات يده فانطلق إلى المدير يكشف له عن خلجات ضميره ويكشف أمامه عن حاجات نفسه ثم راح يستجدي عطفه ويسأله أن ينتدبه مدرساً في السودان ليجد الحياة الطيبة والنعمة الوارفة . ورق قلب المدير للفتى الصريح فأجاب طلبته .

وعجل الفتى إلى زوجته يزف إليها البشرى ... بشرى راتبه الذي زاد ضعفين في لمحة عين . وعجبت الفتاة أن يضاعف راتب زوجها مرة واحدة فسألته في لهفة « وكيف ؟ » قال « لقد انتدبت مدرساً في السودان » وابتسمت الزوجة فقال لها « أو يزعجك أن أفعل ؟ » قالت « حسبي أن أجد لذة الحياة إلى جانبك وأن أسعد بخفض العيش في جوارك ، ومالي هنا مأرب ولا حاجة » واطمأنت نفس الفتى حين وجد الخلاص ، وحين فر — هو وزجه وأولاده — من بين فكي الفاقة والغلاء والضيق قبل أن تعصره عصراً يهد من كيانه ويزعزع من سعادته .

يا لرجولتك أيها الفتى ! لقد فزعت عن دارك ووطنك لتكون أباً وزوجاً تستعذب الغربة وتستمرىء الضنا وتصبر على رمضاء الحر ولفحة الهاجرة ، لتهيء لزوجك وبنيك حياة طيبة فيها الرفاهية والخفض .

وخرّ الفتى — بعد عامين — مريضاً تتناهبه الأسقام من وقدة القيظ وتتوزعه الأوجاع من لظى الحر ، فارتد إلى القاهرة يتلمس الشفاء من علته ويطلب البرء من سقمه وإلى جانبه زوجته ترف حواليه رفيفاً حلواً يخفف من ضنى نفسه ويمسح على آلام جسمه .

وطال به المرض والفتاة إلى جانبه يتقاسمها الفتور والملل ويفزعها السجن والمرض ، وإن فيها شباباً يصبو إلى الشارع ويهفو إلى السينما وينزع إلى المتعة فما تجد السبيل ، غير أنها لم تعدم تعلة تتعلل بها لتفر من الدار ساعة أو بعض ساعة . وبدا عليها الضيق على حين تتصنع بالوفاء ، وأصابها الخور وهي تتخلق بالنشاط . وللمريض عين نفاذة وأذن واعية وإحساس مرهف ، فأرخى الفتى لزوجته العنان علها تجد السلوة والمتاع .

واندفعت الفتاة إلى الشارع وإلى السينما ، لا تعبأ بالمريض ولا تعنى بشأنه ، وخلفته بين يدي الخادم تعبث به وتهمل أمره . وضاق الفتى بحماقة الزوجة الشابة حين رآها تسرف في الزينة وتغرق في التطرية وتفرّط في أمر الدار والزوج والولد ، فراح يحدثها حديث خواطره في لباقة ولين . ولكن الزوجة كانت قد علقت شاباً آخر ذاقت إلى جواره حلاوة الهوى ورشفت رضاب المتعة ونقعت غلة الحرمان .

وعند الصباح انطلقت الخادم لتوقظ الزوجة فألفت فراشها خالياً ... لقد طارت الزوجة الخائنة مع شيطان من الناس ... طارت لتذر زوجها وحيداً على فراش المرض يقاسي ألم المرض ويعاني هم الزوجة .

ونظر الزوج إلى بنيه وهم يتدافعون إلى حجرة أمهم وينادون

« أمي ... أمي ! » فطفرت من عينه عبرة حرّى لأنه أحس — في يوم ما — أن فقد الأم يحز القلب وخزات جاسية غليظة ، ولأنه استشعر لذع الخيانة يسم حياته بسمات الخزي والمهانة ، ويسربل أولاده بلباس السبة والعار .

آه ، يا لقلبي ! إن الزوجة حين ترتدغ في حمأة الخيانة تعلن عن أن دمها لم يشعر يوماً بالمعاني السامية والشرف والكرامة .

كامل محمود حبيب

المـــازني في عهدين

بين ابراهيم الكاتب وابراهيم الثاني

للأستاذ غائب طعمة فرمان

وصف المازني ابراهيم الكاتب بقوله :

« إن أبرز مزاياه كانت أن أسلوبه صورة لنفسه الحية الحساسة المتوقدة ... وكان دأبه أن يدور بعينه في نفسه ليطلع على كل ما فيها ، وأن يجيلها فيما هو خارج عنها ليحيط بكل ما وراءها ... ولكن قلما رأى شيئاً خارجها إلا من خلالها ... »

... ومن خلال هذا الوصف أعطانا المازني صورة واضحة المعالم دقيقة السمات لنفسه ... تلك التي ترى الأشياء من مرآتها الخاصة وتبث من خلجاتها حياة فيها ...

والمازني لا يفتأ يتحدث عن نفسه ، وينفذ إلى أعمق أعماقها ، ويسبر أغور أغوارها ، ويطلع على أخفى خفاياها ... ثم يرى العالم من خلالها ليتعرف على أسرارها !

فإذا بتلك السلسلة المتصلة الحلقات من التجارب الإنسانية تصبح مادة أدبه ، وإذا بذلك النهر المتجمع من قطرات أيامه وسنيه يمد المازني بمعين لا ينضب من الأدب الرفيع .

وتحت معاول الهزات النفسية ، والجنبة في رحلاته الطويلة في عالم الفكر والشعور تربت نفسه ، وتهذبت ، وامحي بريقها الكاذب وبدت خالصة من الشوائب ، ناصعة الجوهر ... فإذا هو يمتز بها ، ويحيا لها ، وفي سبيلها يسعى ، وبها وحدها يعنى .

فإذا أسلمنا بهذا حملنا إلى الشك في قول المازني بأنه « ليس ابراهيم الكاتب الذي تصفه الرواية ؛ وإن هذا المخلوق ما كان قط ، ولا فتح عينيه على الحياة إلا في روايته » فتلك مغالطة أعظم بها من مغالطة ، وتنكب عن واقع الحياة ، وهروب عن لذعات السنين الماضية ، وذكرياتها المريرة التي قد تكون شديدة الوطأ على نفسه ، قاسية الوقع على شعوره ... وما تلك الفروق بين ابراهيم المازني وابراهيم الكاتب إلا ضرب من المخادعة واللف يلجأ إليه المازني في كثير من الأحايين .

وقد تغير المازني السنون فيبدو لعينيه ابراهيم الكاتب — وهو يمثل طوراً من أطوار حياته — رجلاً غريباً « لا تعجبه سيرته ولا مزاجه ولا التفاتات ذهنه » . فينفر منه ، ويجفوه لاختلافه في الاحتفال بالحياة والأعراض عن الدنيا ، والوعورة في الأخلاق والنفور من الناس ، والمرارة من الواقع الأليم ، والرضى بما هو كائن ...

فالمازني الشاب بنزوات قلبه ، وخفقات روحه ، وتسابيح خياله ، وإنسراح عواطفه قد مضى .. وخلف ذكريات مرة مسجلة على صفحات « ابراهيم الكاتب » .

ولست أدري كيف استساغ المازني أن ينفي كونه ابراهيم الكاتب بعد أن قال في الصفحة الأولى من المقدمة :

بدأت هذه الرواية في سنة ١٩٢٥ ثم عدلت عن إتمامها ، والمضي فيها وبها إلى غايتها ونسيتها إلى شتاء ١٩٢٦ فاتفق في ذلك الوقت أن عرفت سيدة نمسوية تزاول الصحافة والتعليم في آن معاً ، وتوثقت بيننا الصداقة على الأيام — فقد طال مقامها هنا — فأطلعتني على صفحة من حياتها حافلة بالكروب والمتاعب ، ولما كنت لا أعرف لي ، مع الأسف ، تاريخاً يستحق الذكر ، أو حياة جديرة بأن يصغى إليها ، أو يطلع عليها السامع أو القارىء ، ولما كنت معها في موقف يتقاضاني أن أجازيها بثاً ببث ، وأن أقول لها بشجوي ، كما قالت لي بشجوها ، فقد ركبني عفريتي الذي استراح إلى كتفي ، واطمأن إلى استسلامي لقضاء الله فيَّ معه فقصصت عليها حكاية الرواية — كما كنت أنوي أن أكتبها — وزعمت أن هذه قصة حياتي !!! ولما كانت حياتي مستمرة فقد احتججت وأنا أسرد عليها هذا التاريخ المبتدع أن أجعل الختام باباً مفتوحاً »

... ثم وصف المازني لابراهيم الكاتب وصفاً لا أظن الذين رأوا المازني رأي العين يفوتهم هذا التشابه الجسمي بين ابراهيم الكاتب وابراهيم المازني ...

كل هذا يدفعنا إلى أن نقر بأن المازني قد سجل في ابراهيم الكاتب عهداً من عهود حياته ، عهداً مليئاً بالهزات النفسية ، عهداً بذر بذور التشاؤم في نفسه ، وأسلمه إلى شيء يشبه القنوط، عهداً لم يخل من أخطاء ونزوات وزلات وهفوات ، حتى اضطره آخر الأمر إلى أن ينكر ذلك الرجل الذي يهرب من العقل ، ويغور في كهوف العاطفة ، ويهوم في مساربها العميقة ..

و « ابراهيم الكاتب » قصة رحلة ، تبدأ بإخفاق ، وتنتهي بإخفاق .. ويظل القلب الذي شهد فصولها يتألم من الحاضر ، ويتعذب بالماضي الدفين .

وتبدأ هذه الرحلة حين يذهب ابراهيم إلى الريف ، بعد موت زوجته ، وخروجه من المستشفى وهو مجروح القلب ، يعذبه حب ماري ... يذهب إلى الريف ليسلو ، وليقضي وقتاً في أحضان السكون ، ومراتع الطبيعة الريفية الهادئة ، بعيداً عن ضوضاء المدينة ووساوس الحب وآلامه .. ولكنه لم يدر أن القدر يترصده؛ فيقع في حب ثان أعنف وأشد ... هو حب شوشو بنت خالته ، تلك الفتاة الغريرة بنت السابعة عشرة ، وذات العينين العميقتين السوداوين المعبرتين عن طبيعة صاحبتها ، والمفصحتين عن حقيقة جمالها ، الحلوة النفس ، الخفيفة الروح ، الظامئ إلى المجهول .

ولكن المرارة دائماً تفعم قلب المازني ، واليأس يصحبه ، والإخفاق يطارده ؛ فالحب الذي اضطرمت ناره في صدر العاشقين ، وجريا معه في مجاريه يتحطم على أعتاب تلك القوة الغاشمة ... قوة التقاليد ... فيسافر ابراهيم إلى الأقصر ليدفن هواه الجريح ، ويواسي قلبه المضطرب ، وليتسلى عما أصابه من إخفاق .

وكأن القدر يلذ له أن يحرك الأوتار المرهفة من قلب ابراهيم ، فهناك يلاقي فتاة مصرية تدعى (ليلى) .. وسرعان ما يختلج في فؤاده لهيب العاطفة التي تعذب بها ، وصلي نارها ، فينجرف في تيارها إلى الشاطئ ذي الأشواك .. شاطئ الحب الصارم ، فيوغل في حب ليلى ، ويندفع معها إلى جنائن الفاكهة المحرمة ! . .

ولكن ذلك الشيطان الظالم ... الإخفاق ... دائماً يظلله بأجنحته السوداء ، فيصاب بالمرض ، أغلب الظن أنه أورثه تلف الأعصاب ، وخلق منه ابراهيم الكاتب .

وبعد تلك الرحلة الفنية يسلم نفسه إلى كآبة عميقة ، ويأس مرير ... وفي خلال صفحات الكتاب نرى نفسه الحساسة المرهفة كيف تتعذب ، وكيف تشقى بإحساسها ... فالحياة لم تنر لها الطريق ، ولم تهدها إلى نعيم الاستقرار ، فظلت هائمة لا يثوب إليها الاستقرار ، ولا تركن بزورقها الحائر إلى شاطئ الهدوء .

فلا غرابة — إن اتجه ابراهيم الكاتب إلى التشاؤم بعد هول العاصفة ، يلوذ بكهوفه ، يرضى فيه نفسه الجريحة ، ويحاول أن يحسب الألم عنصراً من عناصر الحياة :

«اسمعي يا توتو ... لقد أهاب بنا نتشه أن نحيا حياة خطرة ... ولكني أقول إنه ينبغي أن نحيا حياة مؤلمة ! . إن الألم لا سخيف ولا بشع ... انظري هذه الشمس التي تنحدر للمغيب ... إن للشمس بقعها ، والشمس على رغم من بقعها هي حياة الأرض ... هي وحدها الحياة ... والسعادة أيضاً لها بقعها ... ولك أن تسميها آلاماً ... ولكن هذه الآلام هي التي تجعلنا نقدر السعادة التي نفوز بها ، والحياة بالقلب هي الحياة الثامنة ، أما من يبلد قلبه ؛ من يخنقه فهذا إنما يحيا حياة هندسية في ناحية واحدة » .

هذا الشاب المتوقد كم عذبه إحساسه ، وشقي بعاطفته ؛ فكان يحس في قرارة نفسه بعد أن أنهى آماله ، وتحطمت أحلامه — أنه يحسن به أن يستقر ، ويهدأ ويلقي جسمه المنكود المتعب ، ونفسه المنهوكة المثقلة بأعباء الحياة في ركن يستكن به .. في بيت ربطه الرباط المقدس ، وتظلله ظلال وارفة من التآلف والحنان.. ولكن أنى له ذلك ؟! ألم يحاول أن يتزوج من ميمي الفتاة التي أحبها ، وأحبته واستغرق الإثنان في حبهما ، حتى إذا أشرف على الزواج وقف ذلك الجدار المرتفع من التقاليد . حائلاً دونه ودون ما يصبو إليه .

وليلى ؟ . . الفتاة الظريفة الحركة الحلوة التعبير ، الناضجة الجسم ، السمراء اللون ، الداعة التفكير ... لقد هام بها حتى لجأ إليها مرة قائلاً « .. إن هذه اللحظة رهيبة في حياتي فهل توافقين على الزواج مني ؟ .. » فتجيبه « يا حبيبي المسكين أجننت ؟! » .

وفي هذه اللحظة الرهيبة تتبين له حقيقة ليلى ، وتتكشف له

سطوراً من صفحات ماضيه القاتم ، وتزرع في قلبه المفتون أشواكا ، وتذر في عينيه حفنة من رماد !

ويتحطم كل أمل له في البيت المنشود ، ويظل الاستقرار بعيداً عنه ، نفوراً منه ، ويظل قلبه المرهف يتجرع الصاب في صمت !. وينظر إلى سجل أيامه الماضية من بعيد وهي متوارية خلف آفاق الماضي ، والدموع تملأ قلبه ، والغصة في حلقه .

وذات مرة تسأله أمه :

— يا بني ألم تفكر في الاستقرار ؟

— الاستقرار ؟! . . إن البيوت الثابتة إنما اخترعت لأن الإنسان اشتهى السلامة وطلب الأمن ، وأراد أن يكون مطمئناً إلى ما يتوقع .. فإن الخيال لمنة .. والحياة تظل تجربة حتى يكون للانسان بيت ويشعر بأنه له ، ويصبح هو ملكاً لهذا البيت ، مشدوداً إليه ، مقيداً به ، والناس في العادة يرتاحون إلى هذا الشعور ، ويحبون أن يكونوا على يقين من أن هناك وسادة يضعون عليها رؤوسهم كل ليلة ، وأن هناك إمرأة يسمونها الزوجة ترقد إلى جانبهم .. نعم فإن الإنسان إنما يطلب البيت لأنه يطلب الزوجة ، وهو يطلب الزوجة لأنه يريد أن يريح نفسه من متاعب الإحساس الجنسي !! كأنما هو يريد أن يفرغ من الأمر مرة واحدة وفي لحظة واحدة . هذا هو الاستقرار .. وليس فيه ما يخدم الآداب والفنون أو يساعد على التقدم .

وهكذا يخلص ابراهيم الكاتب إلى هذه الفلسفة يحاول فيها أن يقنع نفسه ويرضيها بالتعلات ، ويسوغ إخفاقه بأشياء لا يرضاها إلا القلب الكسير !

فلا جناح أن يتجه المازني في ذلك الدور المضطرب ، إلى الكآبة يغرق في لججها ، وإلى التشاؤم يتسلى في قناعته ، وإلى الألم يستسيغه ، ويستمرئ مره ، وإلى اليأس من كل شيء .

وخيل إليه « أن المرء لا يستطيع أن ينظر إلى الحياة بإخلاص إلا بعين يمتزج بها التشاؤم والتسامح ، وأن الدنيا حافلة بالسوء والقبائح ، وأن الحياة فنها — أقوى فنونها — التثبيط ، وأن الإنسان يعيش سنين وسنين ويتصل بمن لا يحصى عددهم من الناس ، ولكن ما أقل الوافق منهم ! . . وأن خاتمة كل حياة الأسف والندم .. وهما جيل ينمو ممنا طالعاً من أقدامنا ، وقلما نعرف اسمه في صبانا ، وما أكثر ما نتوهمه جبلاً رائعاً جليلاً .. وإنه لرائع وجليل .. ولكنه مخيب للأمل .. ويعلو الجبل أمامنا ويتضخم ونحن نصعد فرحين بالحياة ، مغتبطين بالعيش ، ثم لا نلبث على الأيام أن تتمهل وندير عيوننا ، ونرجع البصر فيما خلفنا ووراءنا ، فتأخذ عيوننا شقوق الفضائح وفدافد اليأس ، وأودية السقوط .. ومع ذلك نظل نصعد في جبل الندامة ، وماذا عسانا نصنع غير ذلك ؟. ويجيء يوم نهرم فيه ، وتكل أرجلنا ، وتجف أنسجتنا ، ونعيا بالاصعاد ، فنقعد على قنة مريحة ، وننظر إلى جداول الحياة المنحدرة .. الحياة التي تظل تترقرق ، ويظل واديها خصيباً ، وإن أخفقنا نحن ، ونشفنا واحداً بعد واحد . نتملى بذكرياتنا ، وتبدو لنا هذه الذكريات أجمل وأسى من الحوادث التي ولدتها ! » .

هذه الصورة الرمزية القاتمة الدقيقة التي رسمها المازني ليمثل فيها أدوار الحياة الإنسانية تمثيلاً يحمل إلى النفس كثيراً من الأسى والحسرة . . هي خلاصة فلسفة ابراهيم الكاتب بعد أن ألقى رحاله في أحضان اليأس ، والإخفاق ، يحسب أنه معذور إذا بكى إساره ، وحاول أن يتلهى بسجنه .. وبدت له الصور القاتمة في مخيلته ، صور الذكريات الحلوة المرة ، الباسمة القاتمة « أجمل وأسى من الحوادث التي ولدتها » في نظر اليائس على الأقل !

وإلا فماذا كسب من الذكرى ؟

أحب ماري ثم أراد القدر أن يسخر بمنطق الحب ، فافترق عنها . . ولكن ذكرياته معها ظلت حية تعمر مخيلته ، وصحبته إلى الريف موطن العزاء والسلوان . . حتى إذا أحب نونو بقيت ذكرياته تملأ قلبه مرارة . . ثم تحول حبه إلى نونو قبضة من إخفاق . . وبعضاً من ذكريات كانت تعذبه وهو غارق إلى أذنيه في حب ليلى ! .

ومع ذلك فهو يحسب الذكريات « أجمل وأسى من الحوادث التي ولدتها » .

(البقية في العدد القادم) غائب طعمة فرمان

ماذا علمتني الحياة ؟ (*)

تأليف الأسقف و . ر . أنبج

بقلم الأستاذ علي محمد سرطاوي

تقديم الكاتب :

(ولد عام ١٨٦٠ في مقاطعة يورك شير . اشتغل محاضراً من ١٨٨٩ — ١٨٠٤ في جامعة اكسفورد (كلية هـ تفورد) ، ثم كان قسيساً لإحدى كنائس لندن بضع سنوات ، ثم أستاذاً للاهوت في كلية ماجد ولين كبردج وعين عام ١٩١١ أسقفا لكنيسة (سنت بول) . ثم ترك الخدمة العامة ١٩٣٤ . ألف ونشر ما يزيد على أربعين كتابا ومن بينها كتب قيمة عن الصوفية والمتصوفين) .

ماذا علمتني الحياة ؟ إن سبعة وثمانين عاماً يعيشها المرء كافية لتعليمه شيئاً .

كان ماركوس أوريليوس يقول : إن رجلا حصيفاً في الأربعين من عمره يرى من الحياة ما يكفي لتعليمه الدور الذي سيمثله على مسرحها . ولعله مصيب في قوله . إن العقل والضمير قد بدآ — إلى حد بعيد — يستيقظان في القرون الوسطى . أحسب أن هذه المقالات لن تكون إلا يوميات مركزة على طراز أميل ، غير أنني ذكرت كل ما يمكن قوله عن حياتي في كتابي المسمى (وداعاً أيها الوادي) الذي كتبته للسادة لونجمان عام ١٩٣٤ وذلك حين تخليت عن كرسي المسؤولية في التوجيه الروحي ، وأحسب أن طبعة ذلك الكتاب قد نفدت الآن ، لأن قاذفات الألمان قد دمرت مستودعات الناشرين . وأمل الأمل غير بعيد في إعادة طبع ذلك الكتاب إذا كانت هنالك رغبة في تسجيل حياتي المتواضعة إذ لم يبق شيء يتصل بها غير ما هو محفوظ في سجلات الأكاديمية البريطانية عن تاريخ حياة الأعضاء والذي قد ينشر بناء على رغبتي . لذلك لا أجعد مناصاً من الرور من الكرام بما نشر سابقاً عن حياتي وأنا أكتب هذا المقال .

لقد تعلمت شيئاً واحداً بصورة لا تقبل الشك ، ألا أحسن الظن بنفسي كثيراً . وكلما أويت إلى فراشي تمر الحاقات وأعمال الطيش التي تتصل بالنصف الأول من حياتي ، كفلم متصل الحلقات ، أمام عيني تحملق في مكشرة عن أنيابها . يقول الكونت كسرلنج : علينا أن لا نزعج أنفسنا بأمور حدثت قبل خمس عشرة سنة ، غير أنني لا ألقى اللوم عن نفسي . حينما أفكر في الحنان الذي كان يغدقه على أبواي وأهلي ، وبعواطف الصداقة الخالصة التي كان يغمرني بها الأصدقاء ، لا أجد مناصاً من اتهام نفسي بعدم المبالاة ونكران الجميل ، وهو خطأ في حد ذاته جد خطير .

والذي يبدو لي أننا لا نتذكر من مثالبنا غير التي لا وجود لها في أخلاقنا الآن . إن ذاكرتي تكاد تفيض بالحماقات التي لم أصحلها عن نفسي . وهنالك أسرار يحملها الموت مني إلى القبر وهي مزيج من القسوة والأخطاء والطيش .

هل نحن ملزمون أن نطبق على أعمالنا مبدأ (لا تحكم على نفسك) . قال سنت بول : (لا أستطيع الحكم على نفسي) . وقالت بورشيا : (نحن نطلب الرحمة من الله) . إن الله يغفر لنا الذنوب التي نتوب عنها توبة صادقة وإن كنا لا نغفر لأنفسنا بعض ما اقترفنا من ذنوب .

أتراني أستطيع تذكر المباهج الكثيرة التي مرت بحياة كان التوفيق الظاهري حليفها في الدنيا ؟ كلا . لقد كان نصيبي من أوجاع الحياة أكثر من مباهجها . لقد كان بيت القسيس في القرن التاسع عشر — كبيت القسيس الاسكتلندي — المكان الذي تترنى فيه المثل العليا للخلق والذوق : حياة رتيبة بسيطة تعنى بالعقل كثيراً ؛ لا فقر ولا غناء ؛ صحة وعمل مثمر ، وهي أمور لم يكن لها وجود إلا في بيئة من هذا النوع في ذلك الزمان .

(*) أصدرت مطابع السادة ادهام في لندن عام ١٩٤٨ كتاباً قيما عنوانه (What Life Has taught me) تحدث فيه عشرون من الرجال والنساء ، وهم الصفوة الممتازة من أساطين الفكر في بلاد الانجليز في الوقت الحاضر ، عما تعلموه من الحياة ، وقد ترجمنا لقراء الرسالة المقال الأول في ذلك الكتاب وهو بقلم الأسقف و . ر . أنبج

(المترجم)

كان أبي لاعباً مبرزاً في « الكركيت » ، ومميزاً في الكلية التي تخرج منها في أكسفورد ، وأبعد الناس عن الطموح . لقد اكتفى من دنياه أن يكون قسيساً مساعداً لجدي شورتون رئيس الشمامسة حتى بلغ الخامسة والأربعين من عمره . حتى لقد رفض أن يكون مطراناً لأبرشية سلسبوري ذات المكانة الممتازة عن طريق التواضع الرخيص والخمول النفسي . وكانت والدتي امرأة عالية الثقافة تملت في ظلها تمليا مكنني من اجتياز الفحص لدخول كلية ايتون ، بعد دراسة فصل واحد في مدرسة خصوصية ، وكان ترتيبي في ذلك الفحص الثاني . لقد ابتسم الحظ لي في ايتون وتتلمذت على أمهر أستاذ في الآداب الكلاسيكية وهو فرانيس سنت جون ثاكاري ابن عم الروائي المعظم .

كانت تلك الفترة هي عصر الدراسات الكلاسيكية الذهبي في ايتون . لقد ارتفعت دراساتنا في تلك الآداب إلى مستوى لم تعرفه جامعة كبردج في تاريخها الحافل المجيد ، تخرنا درجات الشرف ، ولكن الحظ لم يداوم ابتسامه فعبس في وجوهنا ونقل أستاذنا المعظم إلى أكسفورد .

لم يكن هنالك مكان لمحاضراتي في كلية (كنيج) ولذلك رحت أعلم اليونانية واللاتينية لطلاب ايتون الصغار — ذلك الأمر الذي لم يكن من واجبي . وبعد أربع سنوات مضنية مع أولئك الصغار ، نقلت إلى جامعة أكسفورد محاضراً فبقيت بها خمس عشرة سنة والسعادة ترفرف على رأسي . وحينما أخذ السأم يدب إلى نفسي من حياة الجامعة ، قدم لي صديقي القسيس هنسون منزلاً يقع في (وست أند) ، وقد صادف التغير الجديد أسعد حادث في حياتي وهو الزواج .

لست أدري هل من حسن الذوق أن أقول ذلك ؟ لقد طلب مني أن أذكر ما علمتني الحياة ، وهذا الشيء هو أثمن وأروع دروسها . ليس الزواج السعيد هو أحسن ما في حياة البشر ، إنما تملت إلى جانب ذلك أن الحب لا يختلف في مقداره وإنما في نوعه بالنسبة لنعم الله علينا . حينما قال سنت جونس : (إن الذي لا يحب لا يعرف الله لأن الله هو المحبة) ، كان يعبر بأبسط الكلمات عن الحقيقة العليا ، وهي أن الحب يقودنا إلى عالم الحقيقة عن أقصر طريق لا يعرفه إلا الذين يحبون .

هنالك يبدو الخالق مجسما في الخير المطلق والصدق والجمال . إن هذه في حد ذاتها ليست في واقع الحياة غير مثل أفلاطونية إنها تخص عالم الروح ولا تصل إليها إلا عن طريق الإيمان ، كما تتراءى لنا الصورة في المرآة على حد تعبير سنت بول . إن الحب هو الجناح القوي الذي يحمل أرواحنا محلقة إلى ملكوت الله . لقد أوضح تلك الحقيقة سنت برنارد كلارفو فيما يتعلق بحب الله ، لكن سنت جونسي قال لنا إن الذي لا يحب أخاه وهو يراه لا يستطيع أن يحب الله وهو لا يراه .

كثيراً ما رددت وأنا أبارك زواج فتى وفتاة من على مذبح الكنيسة البيت الثاني من شعر شكسبير : « لا قيمة للروابط الظاهرية في تمكن العلائق الروحية بين زوجين كريمين » . وهو من أروع ما قيل من الشعر .

لست أرى مانعاً من الخوض في هذا الموضوع . ليس الضرر الاجتماعي في انتشار الدعارة بأكثر من التساهل في شأنها التساهل المعيب في طبقات المجتمع العالية التي يُفرض أن تكون نموذجاً للفضيلة في الحياة . لقد تدهور الخلق في الخمسين سنة المنصرمة تدهوراً معيباً يدعو إلى الأسف الشديد .

إن السعادة الثانية لزواج سعيد أساسه الحب هي الأبناء . لقد كان أولادنا الخمسة مصدر سعادة خالصة لنا . مات اثنان من أولادي وهما صغيران ، وتبعتهما ابنتي بعد مرض طويل ، وقد مزق قلبي صوتها فرثيتها بأبيات أعتقد أنها كانت مصدر عزاء وسلوى لقلوب محزونة كثيرة . وتعلم ابني الأصغر في ايتون وفي كلية ماجد ولين من جامعة كبردج ، وانتظم في سلك الكهنوت وأحبه الناس كثيراً في بوركشير . وكان ينتظره مستقبل باهر في خدمة الكنيسة . كثيراً ما كنت أردد قول هكتور في الياذة هوميروس حينما حمل طفله استيانكس بين ذراعيه وهو يقول : « سيقول الناس عنه إنه كان أحسن من أبيه » . لكن الحياة لم تمهله . لقد دفعه الواجب إلى التطوع في قوة الطيران الملكية إبان الحرب العالمية الأخيرة ، وعين مدرباً ، وكان عمله يستوجب أن يطير مع المتمرنين ، وقد اضطرت الطائرة مرة إلى الهبوط ، وتخلص ابني ريشارد منها ، ولكنه حينما حاول إنقاذ رفيقه وتلميذه من الطائرة المحترقة اختنقوا وماتا معاً .

علينا أن نحذر من الآمال الكثيرة فى الحياة الأخرى . إننا لا نستطيع تصورها إلا فى حدود الزمان والمكان ، ولكن إذا كنا من الذين يؤمنون بأن منقذنا المسيح قد ضمن لنا الحياة الخالدة فإن ذلك كاف لأن ننظر إلى الموت بغير ما يتراءى لنا .

ولعلنا نوافق وليم بن على قوله : (إن الذين يحبون ما وراء الحياة ، لا تستيع الحياة فصلهم عما يحبون ، وليس فى مقدور الموت أن يقتل ما لا يمكن أن يموت ، ولا أن يفرق بين الأرواح التى جمعها الحب فى الحياة والتى سيجمعها ملكوت الله فترى نفسها فى المرآة الإلهية وتتحدث بأسلوب طليق ...)

لقد عينت عام ١٩٠٧ أستاذاً لكرسى اللاهوت فى كمبردج بعد إقامة تقرب من السنوات الثلاث فى لندن . كانت حياتى فى عملى الجديد رتيبة ، هادئة ، رضية ، وكنت أتمنى أن تستديم حتى نهاية عملى فى الخدمة العامة . ولكن التاج بوساطة المستر اسكويث عام ١٩١١ عرض على منصب مطران كنيسة سنت بول ، وقد رأيت أن اللباقة تقضى على أن أقبل مسؤولية هذا المنصب الخطير .

لن أذكر هنا كثيراً عن الثلاث والعشرين سنة التى قضيتها فى هذا المنصب ، لأن ذلك قد استغرق القسم الأعظم من كتابى المشار إليه عن تلك الذكريات . إننى مدين للصحافة بقسم كبير من التوفيق لعظيم ما تلقتنى به من الترحيب والتشجيع ... لقد لقيت كتبى رواجاً عظيما ، ودعيت لألقاء محاضرات لا يبلغها الحصر . قال لى رئيس الوزراء حينما سلمنى براءة التعيين : إنه يأمل أن أحيى تقاليد ذلك المنصب الروحى الخطير فى كنيسة انجلترا . لقد كانت تمر بخياله ذكريات رواد الكنيسة وبناة مجدها الأولين من طراز كولت ، ودون ، وتلستون ، وملمان ، ومانسل ، وشرك ، وأحسب أننى قد سرت على آثارهم كأحسن ما يكون ، ولكن ليس من حقى أن أحكم على أعمال نفسى . ولا أرى أيضاً ضرورة لذكر الثلاث عشرة سنة التى قضيتها فى ريف يوركشير بعد اعتزال الخدمة . إن بلوغ الإنسان أرذل العمر تجربة خطيرة من تجارب الحياة . إننى لا أكاد الآن أشعر بأثر أى شىء فى عواطفى . تجرى الأيام والشهور والسنون وأنا أحسبنى فى حلم طويل . لم أجد شيئاً فى الحياة يستحق أن يتهالك الناس عليه ، لأن الدنيا بكل ما فيها من متاع وسرور ، ليست إلا خيالا يمر مرور سحابة صيف ، وليس فى حياة فانية شىء يستحق أن يرجى ويؤسف عليه . إلا أن فى رحمة الله ما يسع بلادى البائسة وأبناء وطنى المتعبين . إن تراخى رباط الحياة التدريجى من جسدى لا يخيفنى كثيراً ، وإن أبكى كما بكى شاعر الحب الأغريقى ممنرامس وتمنى أن يموت فى الستين من عمره ؛ وليس كما فعل هوراس الذى كبر فى غير أوانه ، وأصبح يحس بفقد مباهج الحياة واحدة بعد الأخرى . لا أريد أن أردد قول تنسون المرير : (إن السنين التى تجعل من الطيش اتزاناً فى الإنسان ، هى التى تأخذ ما تعطى وتترك الظلام فى البصيرة والعينين) ...

لعل فى استطاعتنا تجنب الإحساس بحالة من هذا النوع فى الشيخوخة ، وإن كنا لا نرى رأى السير توماس افربرى الذى يريد أن نشعر بشيخوختنا إحساساً تُنسى فيه أرواحنا بدلا من الإحساس بضعف أجسادنا ... أستطيع أن أقول إننى لست تعساً ... إن الراحة بعد النصب المرهق أمنية جميلة ، وإذا كنا نؤمن بصدق الديانة المسيحية فعلينا أن نؤمن بقول لويس نتلستشب : (ليس للموت وجود) . إن المسيح يقول فى الإنجيل الرابع : « إن الذى يعيش ويتبعنى فلن يموت أبداً »

(البقية فى العدد القادم) علي محمد سرطاوي

الفلســـــفة الوجودية

للأســـــتاذ عبد الفتاح الديدى

لم يصل المستوى الثقافى فى مصر إلى الحد الذى نستطيع معه أن نقول عن حركة فكرية بالذات أو نوع من الفلسفة بأنه قد شاع بين أبنائها وطبقات المتعلمين فيها ، ولكننا نستطيع مع ذلك أن نقول عن الفلسفة الوجودية إنها قد شغلت الأذهان وجرى اسمها على الأقلام والألسن واختلف الناس فى أمرها اختلافاً كبيراً بين محبذ لها ومندد بها . وهؤلاء يتلقفون أخبارها وينتظرون الأنباء عنها بفارغ الصبر . فيجدون يوماً من يذهب إلى باريس ليعود بعد ذلك فيقول عن مشايعيها إنهم فلاسفة الأندية والمقاهى (والواصلات) . وينظرون فإذا بأديب كبير من أدبائنا المعدودين يحمل نبأ خطيراً مؤداه أن الأستاذ الجليل أندريه لالند قد حكم عليها أمامه بأنها فلسفة العدم . فضلا عن أن الجرائد المصرية والأجنبية قد أخذت تنشر عنها أخباراً متصلة الحلقات : فمرة تقول إن الشيوعيين قد صادروا كتاباً من كتب جان بول سارتر — الفيلسوف الوجودى المعروف — فى معظم المناطق الأوربية الخاضعة لحكمهم . ومرة يأتى خبر بأن البابا قد أصدر قراراً بتحريم كتب سارتر لخروجها عما توحى به الشرائع وما تنص عليه الكتب المقدسة . وفى مرة ثالثة يأتى خبر من أسبانيا يصف البوليس هنا لك وهو يطارد الوجوديين كما يطارد المهربين والخارجين على القانون . فهذه الأنباء المتواترة من شأنها أن تزعج القائمين بشئون الثقافة والأدب فى مصر وأن تدفعهم إلى إثارة موضوعها من حين إلى حين .

ولكن أحداً عندنا لم يناقش هـذه الفلسفة مناقشة عادلة صريحة ، أو قل إن أحداً عندنا لم يحاول أن يفهم المسألة فهما يؤهله لأن يقف منها موقف المؤيد أو المعارض . فما زالت الوجودية حديثة عهد بالنسبة إلى كثير من الذين يفكرون عندنا ولم تزل موضوعاتها غريبة عن عقولنا ولم تزل روحها غريبة عن مشاعرنا . ويمكن أن نذهب إلى حد القول بأن هذه الفلسفة ، وقد جاءت نتيجة لروح عامة أو لحركة معينة فى الفكر الأوربى لم تجد كثيراً من القبول لدى أدبائنا ومفكرينا ممن لا يستطيعون الخروج عن نطاق الذوق المصرى المتأثر بظروفنا الخاصة كشعب أولاً وكطبقة متعلمة ثانياً . والحق أنها لم تصادف هذا الموقف لدينا فحسب ، وإنما وجدت كثيراً من المعارضة ومن النقد فى معظم المجلات والصحف الانجليزية والأمريكية . وأغرب من هـذا كله وأدعى منه إلى الدهشة والتعجب أن أنصارها أنفسهم والمشايعين لها بأفكارهم وكتبهم ليسوا راضين عنها كل الرضا وأنهم لا يوافقون على نسبتها إليهم .

وأصل الإشكال فى هذه الفلسفة هو أنها تتطلب روحاً معينة لدى من يؤمن بها ويتعصب لها ، وتقتضى أن يكون فى نفس الإنسان صفات خاصة من أجل أن يصير واحداً من المعجبين بها . فليس كل إنسان بقادر على أن يجد فلسفة الوجود عنده موافقة ورضا وأن يقدم على قراءتها بنفس مطاوعة ، فإن الكثير من النزعات الاجتماعية والتربوية والدينية — وهى الأكبر تأثيراً فى نفوس الناس — لا تتلاءم مع الوجودية فى أفكارها وميولها ، كذلك يلاحظ أن الفلسفة الوجودية أميل إلى الأدب والفن منها إلى العلم والحقائق المقررة ؛ ومن هنا كانت تعول دائماً على الذوق وعلى الإحساس أكثر مما تعول على المعرفة الأصولية المستندة إلى خبرة عملية واتجاه نفعى .

وهناك أسباب موضوعية خالصة تدفع بالناس إلى كراهة هذا النوع الجديد من التفكير : فقد اتجه فلاسفة الوجود إلى العناية بظاهرة الموت مثلا وتفسيرها ، والكلام عن الشعور بالقرف ، والاهتمام بمسألة العدم وتقديمها على ماعداها وتحليل المواقف المعينة التى يوجدفيها المرء ويحتاج من أجل المرور بها إلى تجربة وجدانية من طراز فريد . فمن ناحيـة الموضوعات التى تدرسها الفلسفة الوجوديه نجد أنفسنا بإزاء جملة من الأفـكار الغريبة التى إن لم تكن جديدة بالمرة ففى بعض التحليلات والتفصيلات ما يشعرك بأنك تجاه شىء لم يقع من قبـــل فى دائرة البحث أو فى مجال التفسير والتعليل .

والوجودية بعد هذا كله ليست الحادية على طول الخط ، وإنما فيها فريق مؤمن يستهوى بكتاباته كثيرين ممن يريدون إشباع نزعتهم الصوفية بتحليل المشاعر الدينية والسلوك فى طريق

الروح . فكير كجورد وبردياف ومارسل يأخذون جانباً معيناً في التفكير الوجودي ويسيرون على نمط خاص يجعلنا نطلق عليهم اسم الشق الإيماني ونفردهم قسماً واحداً . وقد كان من الممكن بالنسبة إلى هؤلاء أن يبعثوا الشوق في نفوس قراء الأدب والفلسفة من المتدينين وأن يحببوا المذهب الوجودي إلى قلوب الناس؛ بيد أن تحليلاتهم الطويلة ، وأسلوبهم في معالجة المسائل ، وتطرفهم في ناحية الإحساس المرهف ، وتفصيلهم الدقيق عند شرح الحالات الوجدانية زهّد الكثيرين فيهم وجعلهم يحسون بالملل والضيق عند قراءة صنوف نتاجهم .

فهذه كلها من المسائل التي توضح لنا السبب المباشر في أن الكثيرين من الأدباء والمفكرين لم تعجبهم فلسفة الوجود ، وتوقفنا على أصل الداء في كراهية الناس لهذا النوع من التحليل العقلي ولكنها بغير شك لا تقنع الباحث ، ولا تصده عن مراجعة هذه الأفكار مراجعة الإنسان المسئول عن رأيه ، ولا توقفه عن قراءة ماينتجه فلاسفتهم من الكتب والمقالات والبحوث . وأغلب ظني أن الإنسان الذي يحول بين عقله وبين هذا الزاد الفكري الجديد سيخسر كثيراً من كونه قد حرم على نفسه ضرباً من ضروب الإحساس بالحياة على نحو غير مألوف وأساء إلى فكره بأن أبقاه في دائرة مقفلة من المذاهب التقليدية العتيقة .

فالفلسفة الوجودية إنما جاءت كرد فعل لطغيان التفكير المذهبي على عقول الناس وأرادت أن ترفع عن كاهل الفكر البشري هذه الأثقال التي تركتها أحقاب من الفلسفة التجريدية الجوفاء . وبالإضافة إلى هذا كله غيرت من اتجاه التفكير واستبدلت بالموضوعات القديمة غيرها مما يُعدُّ داخلاً في نطاق التحليل العادي وبطبيعة الحال أسقطت من حسابها في هذه العملية مجموعة من الأفكار البالية التي كان سيستحيل على الإنسان أن يجد لها تفسيراً معقولاً وإن ظل يتأملها أجيالا بعد أجيال . وذلك كله بحكم خروجها عن نطاق البحث الفلسفي ، ومن باب أولى عن نطاق البحث العلمي . فهي مسائل معلقة ليس يتأتى الفصل فيها لطائفة من البراهين دون غيرها ويستحيل أن تخضع لمناقشة سليمة معقولة . ولذلك صار الموضوع الأساسي بالنسبة إليها هو الإنسان؛ وعدنا من جديد نحس أمام مفكريها بأن الوجود في حد ذاته مشكلة على نحو ما أعلنها شكسبير على لسان هاملت في يوم مضى

وفي الفلسفة الوجودية نزعة متافيزيقية واضحة ؛ ولكن لابد من أن نراعي دائماً فيما يتعلق بهذه المتافيزيقا أنها ليست مثل غيرها ، وأنها تنفرد بصفات خاصة ومعالم ذاتية هي وليدة التيار الفكري السائد بعد الانحلال الحضاري الأخير في الغرب ، وتتبدى مظاهر الانحلال في تلك الحيـــاة الكسيحة التي انتهت إليها أوربا ، والانهزامات المتوالية على فرنسا وألمانيا والدويلات المجاورة لها بالذات ، فضلاً عن المجاعات الحاصلة من يوم إلى يوم ومعاناة الجيل الجديد من الشباب الأوربي لألوان من العيش ولضروب من الحياة لم يألفوها من قبل . فالمراحل الفكرية القلقة التي مرّت بهم ، والحالات النفسية الشاذة التي خضعت لها شعوب الغرب المثقفة الحية كان لها أكبر الأثر في مشاعر الشبان وآرائهم ، وكانت النتيجة أن آمنوا بالمذاهب ذات الصبغة الزاهية ، وذات الطابع الحاد ، وذات الميل المتطرف . وبعد هذا كله — أو قبل هذا كله — أبعدتهم كل البعد عن فلسفات الخيال والوهم ، والأفكار التي لها طابع روحاني زائف أو خصائص دينية كاذبة .

ومن هنا كانت المتافيزيقا عندهم غير متعلقة بشيء خارج الوجود ، ولا باحثة في أمور تتعدى نطاق المحسوس . وبطبيعة الحال أنا لا أعني الطائفة المسيحية من الوجوديين ، فهؤلاء لهم حكمهم الخاص . إذ أن فلسفة الوجود — كما قلنا — فيها شق مؤمن يدخل تحت لوائه من سبق أن ذكرناهم بالإضافة إلى مارتن بوبر وكارل بارث . أما الشق الآخر فالحادي متطرف مثل هيدجر وسارتر وسيمون دي بوفوار ومارلو بونتي . وهؤلاء الأخيرون هم الذين نعنيهم كلما تحدثنا عن متافيزيقا الوجود . وهي متافيزيقا تخضع للتجارب الحية داخل الوجود ، وموضوعها الوجود في العالم كما يقول هيدجر . ونجد التعبير عنها كاملاً في كلمة سيمون دي بوفوار إذ تقول : « في الحق إنه لا يوجد أحد خارج الوجود . » وبهذا التصريح منها اعتقدت في أنها قد حدت من الحلم الذي طالما خطر على أذهان البشر بوجود موضوعية غير إنسانية ، وأنها قد أثقلت الخيال بقيود وروابط تجعل من المستحيل بالنسبة إليه فيما بعد أن يخرج على ما هو ماثل أمامه وقائم من حوله . ويؤيدها سارتر في هذا المعنى بقوله :

« ليس هناك أكوان أخرى غير كون إنسانى واحد هو الكون المنسوب إلى الذاتية الإنسانية » . ويمنى سارتر خصوصاً بأن يقدّم لنا تفرقة هامة حينما يتكلم عن الميتافيزيقا وهو يقدم عليها علم الوجود (ontobogie) بوصف هذا العلم تمهيداً للمتافيزيقا التى يأتى على عرضها فى كتبه . وينظر إلى هذا العلم كما لو كان بحثاً فى الحالة الراهنة للوجود ، والأقسام التى يمكن أن يرد إليها (كالوجود فى ذاته والوجود لذاته) . أما المتافيزيقا عنده فهى التى تضع المشكلة النهائية الخاصة بإمكانيات هذا الموجود على النحو الذى يوحى به علم الوجود .

فالمتافيزيقا الوجودية عند سارتر وأضرابه ليست بحثاً فى المجهولات ، ولا تخمينا فى مسائل الروح والعالم الآخر ، ولا هى عود إلى النظر فى مراتب الوجود وعالم الأفلاك ... ومن هنا حاول البعض فى انتقاده له أن يتهمه بأنه مادى (matériabiste) كما فعل روجيه تروافونتين (Troiafontaines) فى كتابه عن الاختيار لدى جان بول سارتر . وبذلك نلاحظ دائماً عند الكلام فى تاريخ المتافيزيقا ذلك التحول الذى أحدثه فلاسفة الوجود . وليست هذه المتافيزيقا — كما هو واضح — جديدة كل الجدة ولا غريبة كل الغرابة عن الفكر الفلسفى ؛ فلها إرهاصات من الفلسفات الباحثة فيما يدخل ضمن حدود الموجودات على الرغم من خروجه عن نطاق التجربة ...

وإذا حاولنا أن نعود بأذهاننا إلى الوراء من أجل النظر فى الأصول التى نبتت منها فلسفة الوجود اصطدمنا بمشكلة أخرى لا تقل إعساراً عن أى مشكلة تصدت لها هذه الفلسفة . فالواقع أنه من الصعب جداً أن نعثر على خط واحد مرت به هذه التيارات المتلاحقة فى إبانة وانكشاف . بل يصعب فى الغالب أن نجد نقطة بدء واحدة لدى جميع الذين كتبوا فى هذا الموضوع . فبعضهم يردها إلى شخصية سقراط واعترافات القديس أوغسطين . وعند هؤلاء مباشرة من يزعم أن أصلها موجود فى فلسفة الحياة عند نيتشه وإلى شعر الحياة فى الحركة الرومانتيكية . ومعظم الذين كتبوا فى تاريخها يقررون بزوغها من محاولة كيركجورد الفلسفية عندما عارض هيجل فى إعانه بالمطلق وبالروح الكلية . ولكن هذا لم يمنع الكثيرين من أن يجدوا لها مشابهات ومقابلات فى كتابات باسكال وقصص إبسن ودستويفسكى وفى أشعار بودلير وآرتور رامبو

أما عن سارتر نفسه فقد رجع بتفكيره إلى كل من هسرل وهيدجر . وهذا واضح وطبيعى ؛ فعلى الرغم من أنه يصعب حتى الآن تحديد الموضوعات التى بحثها سارتر تحديداً ختامياً فمن الممكن أن نجد لديه نوعين من التفكير أحدهما نفسى والآخر متافيزيقى . وكلاهما راجع إلى الأبواب التى تفتحت على أيدى هذين الفيلسوفين لأول مرة فى تاريخ الفكر .

فلم يعد من الطبيعى بعد هذا كله أن نظل فى موقف سلبى بإزاء هذه الفلسفة التى شغلت أذهان الناس وقتاً طويلاً والتى لها من تاريخها ما يؤهلها لأن تعبر عن اتجاه معين فى المراحل الحاضرة من حياة الأفراد والجماعات . ولا بد من أن نحاول شيئاً بإزاء هذه الحركة الضخمة ؛ فإن لم يكن بد من شىء فلا أقل من أن نتأثر بها تأثرنا بالسحابة الماضية فى يوم صائف .

عبد الفتاح الديدى

من شـــــجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظه باشا

فرغ الشاعر الكبير عزيز أباظه باشا من مسرحيته الرابعة (شجرة الدر) فقدم بها إلى الشعر التمثيلي العربي الناشئ قطعة رائعة تزيد في ثروته وتدنيه من كماله . وقد تفضل فآثر (الرسالة) ببعض مشاهد هذه المسرحية ننشر اليوم مشهداً منها شاكرين .

الفصل الأول — المشهد السادس

شجرة الدر : الملكة .

عز الدين أيبك : قائد الجند .

أقطاى
بيبرس } من أمراء الجيش .
قلاوون

(يدخل بيبرس وقلاوون على الملكة شجرة الدر وكانت قد أرسلتهما في مهمة سياسية إلى أمراء الشام ، وكان في حضرتها عز الدين أيبك وأقطاى)

شجرة الدر : يا صاحبيَّ فنبئاني ما الذى
خلَّفتما في تلكم الأمصارِ

بيبرس : يا مَلْكة الوادى سلمت تقيته
وتقينَ شعبك عادىَ الأخطار
إن ندَّ والٍ ، أو تخلَّف حاكم
فبكلى الأمورَ لملكك الجبـــار
فإذا هموا انتقضوا وثاروا فاقذفى
بالنـــار فوق مناكب الثوَّار
ودعى حسابهموا المسيرَ لجيشك الـ
جرار يوفض بالقنـــا الخطار

شجرة الدر : أحسنت بيبرسُ العزيز فى الذى
لمَّحت لى عنه الجواب الشافى
فضلُ السفير أداؤه فى رقةٍ
ما ساء من نبأ وفى إلطاف
ابدأ بأسوإ ما حملت ففى يدى
حسمٌ لكل ملمــةٍ وتلافى

بيبرس : مولاتى الأحداث حولك أوشكت
تنقض بين صبيحةٍ ومساء
جيرانك الأدنون ضمُّوا شملَهم
وتجمعوا لخيـــانةٍ نكراء
حسدوك فانتقضوا عليك ... فهذه
حلبٌ تهم بغدرةٍ شـــنعاء
والموصل استشرى عليك عداوة
والحقد ملء جوانب الفيحـــاء

شجرة الدر : بيبرس فى هذا الحماسِ يؤودنى
تمحيص ما تلقى من الأنباء
هلا هدأت ؟

بيبرس : سلى أجبك فإننى
قد طال فى تلك الديار عنـــائى

شجرة الدر : ما يفعل « الملك الرحيم »[1] ؟

بيبرس : تركته
متحاملاً ومجاهراً بعداء

شجرة الدر : وحليفــهُ « الملك المظفر »[2]

بيبرس : مثـــله
يطوى أضالعه على بغضاء

شجرة الدر : والناصر[3] الملك الذى أصفى له
ودى ؟

قلاوون : كبير العصبة الحمقاء
جمعوا على جبْنِ النفوس صفوفَهم
أفتحفلين بعُصبة الجبنـــاء

أيبك : أسألتهم ما الذى قد أنكروا
منها الغداة

قلاوون : أجل

أيبك : فما ذا قالوا ؟

قلاوون : لغو من القول السقيم وحجة
صالوا لتثبت فى المقـول وجالوا

أيبك : فاعرض لحجتهم وسُــقها

قلاوون : أعفـــنى
فلكل قول موقعٌ ومجال

أيبك : يا ملْــكة الوادى مُرِى تتثبتى

---

(١) الملك الرحيم : هو بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .
(٢) الملك المظفر : هو المنصور المظفر الأيوبى صاحب حماة .
(٣) الملك الناصر : صلاح الدين صاحب حلب .

شجرة الدر : لم تخفَ عنى هذه الأقوال

قالوا : فما حكم النســاء بجائزٍ
شرعاً وقوّام النســاء رجال

بيبرس : هذا الذى زعموه

أيبك : وهمٌ باطل
ما كان جنس المرء خالق فضله
أىٌّ من الجنسين بالغ شأوه
— لا فرق بينهما — ببالغ عقله
لو قد رقيتِ الملك وارثةً له
قلنا اعتراضٌ فى صميم محله
لكننا اخترناك رأياً واحداً
فنزلت أنت على مشيئة أهله
إجماعُ شعبٍ راشدٍ لم يجتمع
متضافراً من بعده أو قبله

شجرة الدر : دع ذاك أيبك ولنعد لحديثنا ال
مأثور عن أمرائنا الأعلام
هل أنكروا أسلوبنا فى الحكم

بيبرس : لم
يتحـدثوا فى ذاك قط أمامى

شجرة الدر : أفناقمون علىَّ أنى قبلتى ال
شورى وأحكامُ الكتاب إمامى
أم غاضبون لأننى نكلت بال
غازى وصنت كنانة الإسلام
صبراً بنى أيوب لا تتعجلوا
كالناقلين مصائرَ الأيام
أنا زوج عمكمو أمرٌ إلىَّ بال
نجوى فقلت : اهدأ ونم بسلام
إنى لحافظةٌ التراثِ لآله
عهدى إليه على المدى وزمامى

(ثم تلتفت لبيبرس)
اكمل حديثك

بيبرس (لقلاوون): هل لدينا غير ما
قلنـا ؟

قلاوون : أجل فلهم لديك رجاء

شجرة الدر (فى استهزاء) :
بل قل لهم أمرٌ

قلاوون : أُناسٌ سُدةٌ
عزت كما عزّ السنا الوضّاء
قالوا إذا أسرى الفرنجة [1] أطلقوا
وهمُو الملوكُ الصِّيدُ والأمراء
فالمسلمون ممالكا وجحافلا
ضُربت عليهم ذلةٌ وعفاء

شجرة الدر (فى بسمة ساخرة) :
أكذاك قالوا؟ لن يكونَ على المدى
ما يبتغيه أولئك السفهاء
(ثم تقول كمن تستأنس بالرأى) :
فإذا رأيتُ من السياسة والحجى
أن يطلقوا

أقطاى (فى دهشة) : أترينَ ذلك؟

شجرة الدر : ربما

أقطاى (فى إصرار) :
أتخشى إذا همُ أطلقوا أن يشهروا
شعواء تمطرنا الحديدَ المرزما
درج الصليبيون ألا يحفظوا
عهــداً

شجرة الدر : أعيذك أن تزل وتظلما
قد ينقضون ، وقد نقضنا مثلهم
لكننا كنا أعفّ وأكرما
لا تخش ، ربّ ذرائعٍ أحكمتُها
مهدن للوطن الطريق الأقوما

أقطاى : مولاتنا فالجيش لم يُعلم بما
يجرى

شجرة الدر : وهل من حقه أن يُعلما

أقطاى : هو حامل الأعباء غير مؤازر
عن مصر إن خانته يوماً أيوما

شجرة الدر : أدرى ولكن السياسة مهنةٌ
إن رامها جيش هوى وتحطما
أقطاى دع ما لست تحسنه لمن
عرك الأمور وسامها فتعلما

عزيز أباظة

---

(١) إشارة إلى الملك لويس التاسع وقد كان ورهطه أسراء بالمنصورة في ذلك الحين.

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

حول مشكلة الأداء النفسى مرة أخرى :

فى بريد العدد الماضى من الرسالة ، طالعت كلمة وجهها إلىّ الأديب الفاضل عبدالمنعم سلمان مسلم حول مشكلة الأداء النفسى فى الشعر العربى ، ولا يسعنى قبل الرد عليه إلا أن أبادر بشكره على تلك التحية الكريمة التى شاء ذوقه ولطف مودته أن يخصّ بها هذا القلم !

يقول الأديب الفاضل بعد تحيته : « ولكننى لا أوافقك ، بل أعتب عليك عتباً كبيراً حينما تصب حكمك القاسى على الشعر العربى القديم جملة واحدة ، هذا التراث الذى نفخر به على مرّ الزمن ، هذا التراث الذى جملته خواء من الروح والعاطفة . إنك بهذا الحكم تهدم حضارة ، وتبعثر أمجاد أمة ، وأنا أعيذك من هذه النظرة ، وأرجو أن تراجع نفسك ، وتستشير ذوقك وحسك ، وأنا موقن أنك لن ترضى لنفسك أن تسم الشعر العربى بهذه السمات : « شعر السطوح الخارجية » ، شعر يشعرك بفراغ « الوجود الداخلى » عند قائليه ، لأنهم كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » ...

ثم يقول الأديب الفاضل بعد ذلك : « ألم تقرأ شعر المتنبى ؟ اقرأه فى السيفيات والكافوريات ، فتراه شعراً منبثقاً من أعماق النفس ، هو فى ظاهره مديح ، ولكن وراء هذا معان كلها أثر للاحساس النفسى والانفعالات الحزينة تارة ، المريرة أخرى ، الساخرة كثيراً . واقرأ شعر ابن الرومى فى رثائه ومدحه وهجوه ، فهو صادر عن نفس حساسة شاعرة ، وألفاظه شفافة موحية . واقرأ فى كل عصر من عصور الأدب ، فستجد شعر النفس ، وصدق الفن فى أكثر ما تقرأ » ...

هذه هى الكلمات واللفتات التى تحفل بصدق الغيرة على تراثنا العربى القديم ممثلاً فى الشعر ، وهى غيرة من حقّ صاحبها علىّ أن أحمدها له ، مهما بعدت الشقة بينى وبينه ، واختلفت وجهات النظر ... أما عن حكمى على الشعر العربى ، فأنا لا أصدر حكماً إلا وأنا مؤمن به ، ولا أسوق رأياً إلا وأنا مطمئن إليه ؛ ذلك لأننى ما نظرت فى فن من فنون الأدب إلا وأنا أنشد الدراسة بغية التقويم ، وإطالة التأمل رغبة فى النقد ، وإنعام الفكر سعياً إلى كشف غامض أو جرياً وراء تقرير مذهب ؛ تلك هى عادتى كلما تناولت أثراً من آثار الفن وكلما لقيت رجلا من رجاله ، سواء أكانت اللقيا فى عالم الأحياء أم فى عالم الشعور والسطور ... من هنا أود أن أقول للأديب الفاضل إننى ما وسمت الشعر العربى القديم بتلك السمات ، إلا بعد أن صاحبته مصاحبة كانت فى حساب الزمن خمسة عشر عاماً ، وكانت فى حساب الدراسة النقدية خمس عشرة مرحلة ، فى كل مرحلة منها ما شاء من إعادة النظر ، وما شاء من تقليب الرأى ، وما شاء من مراجعة النفس ، وما شاء من استشارة الذوق والحس والوجدان !

أنا يا صديقى لا أنكر أن فى الشعر العربى القديم لوامع رائعة من الأداء النفسى ، ولكنها كما قلت لوامع تطغى عليها تيارات الأداء اللفظى ، ذلك الأداء الذى يعنى بمادية التعبير أكثر مما يعنى بظلاله النفسية ... إن الأداء النفسى موجود فى شعر المتنبى كما هو موجود فى شعر ابن الرومى والبحترى وأبى تمام وما شئت من كبار الشعراء ، ولكن أى وجود ؟ إنه وجود لا يملأ سمع المتذوق لهذا اللون من الأداء ، ولا يحيط بمنطقة الشعور تلك الإحاطة الكاملة التى نلتمسها فى الإثارة الوجدانية -- عندهم إثارة ، نعم . ولكنها الإثارة التى تنبثق من ثنايا الذهن لا من شغاف القلب ، وتنطلق من وراء اللسان لا من حنايا العاطفة ؛ وتلك هى الإثارة العقلية التى دفعت بهم إلى خارج « الحدود النفسية » كما قلت ، وبعدت بهم عن أن يكونوا قمماً من قمم الأداء النفسى الذى أشرت إليه !

لقد كان الشاعر القديم لا يخلو إلى نفسه إلا فى القليل النادر ولقد كان مشغولا عنها بأعراض الحياة ومطالب العيش ومظاهر الغلبة على الأقران والتشوف إلى الوقوف بباب السلطان ، ولذلك ضرب بجناحيه فى كل أفق وبقى أفق واحد عزّ عليه أن يحلق فيه ، وهو أفق الخلوة إلى النفس والتحدث إليها والتعبير عما يجيش بداخلها من شتى الانفعالات والخلجات ... لو خلص الشعراء القدامى لأنفسهم وخلصت لهم ، وتفرغوا للتأملات الذاتية فى شئ من الاستجابة الصادقة لدعاء الشعور الصادق ، لبدوا عمالقة فى

ميدان لم يطرقوه مرة إلا ارتدوا عنه مرات ، ولاغترفوا من نبع لم يحوموا حوله لحظة إلا وضلوا عن طريقه لحظات ، جرياً وراء السراب ؛ سراب الصنعة اللفظية والذاتية البيانية !

ومع ذلك يذهب الأديب الفاضل إلى أن المتنبي وابن الرومي ينفذان من نطاق النقد الذي أقمته حول بناء الشعر العربي القديم ، فهل يتفضل بتقديم قصيدة لهذا وأخرى لذاك يتخيرهما من روائع الشاعرين ، لنستطيع أن نضعهما فوق مشرحة الدراسة النقدية ، مستخدمين مبضع التحليل على ضوء الأصول الفنية التي عرضت لها في مشكلة الأداء النفسي في الشعر ؟ إنني على استعداد لتشريح أية قصيدة تقدم إليّ من الشعر العربي القديم ، وعلى استعداد لأن أثبت لقدمها في غير تجن ولا مغالاة ، أن أية ومضة نفسية يمكن أن تشم في بيت من الشعر هنا ، ستقابلها عشرات الومضات اللفظية في كثير من الأبيات هناك … وهذا هو الحد الفاصل بيني وبين من يختلفون معي في الرأي حول الشعر العربي القديم !

نترك هذا كله لنرد على اللفتة الأخيرة في كلمة الأديب الفاضل حين يقول : « لقد جعلت « شوقي » زعيم مدرسة في حسن الأداء النفسي ، لأنه يملك الصدق في الشعور والصدق في الفن ، وجملته قريناً لشاعر آخر … والمعروف أن المدرستين مختلفتان في كثير من السمات والوجوه ؛ فشوقي في رأيي يحفل بالصدق الفني ، ويتأنق في عرض الصورة البيانية ، فطابع الصدق الفني أغلب في شعره من الصدق الشعوري ، وعلى النقيض من ذلك الشاعر « إيليا أبو ماضي » . والذي يهمني بعد ، أن توضح لي رأيك في مكان شوقي بين الشعراء ، ومكانة شعره في نفسك » .

إن القول بأن المدرستين مختلفتان في كثير من السمات والوجوه غير صحيح في جملته ، ذلك لأنهما تختلفان في المظهر وتتفقان في الجوهر ، ونعني بالمظهر هنا ذلك الإخراج الفني للصورة البيانية ، أما الجوهر فنعني به ذلك العرض الصادق للصورة النفسية ؛ وهنا تتمثل نقطة الارتكاز في الأداء النفسي حيث تلتقي المدرستان … فاللفظ عند شوقي هو لفظ الدلالة الموحية ، الدلالة على الوجات الشعورية التي يندفع رشاشها من الداخل ليرطب مسالك التعبير ، وهو كذلك أيضاً عند إيليا أبي ماضي . الأداء نفسي هنا ونفسي هناك ، أما الاختلاف فهو في تلك المعالم الخارجية للهياكل اللفظية ،

ولا بأس من توضيح هذا الاختلاف الذي يبدو في المظهر لا في الجوهر بأن نقول : إن شعر المدرستين أشبه بثوبين أخرجهما مصنع واحد من نسيج واحد ، ولكن العامل الذي ابتكر تلوين هذا الثوب غير العامل الذي ابتكر تلوين ذاك …

ولقد سبق أن قلت : إن الأداء النفسي في الشعر ، لا بد أن يقوم على دعامتين لا غنى لإحداهما عن الأخرى : دعامة الصدق الفني ودعامة الصدق الشعوري ، ومعنى هذا أننا إذا قلنا إن شعر شوقي يغلب فيه طابع الصدق الفني ، فقد أخرجناه بعض الإخراج من دائرة الأداء النفسي ، وكذلك ينطبق القول على أبي ماضي إذا ما حكمنا بالغلبة لطابع الصدق الشعوري في شعره … إذ لا بد من المساواة بين الصدقين لتتكامل العناصر الفنية المتفاعلة لتكون المزيج الأخير ، ونعني به مزيج الأداء النفسي في شعر الشاعرين أو شعر المدرستين !

أما عن رأيي في مكان شوقي بين الشعراء ومكانة شعره في نفسي ، فقد أبديت هذا الرأي من قبل ، هناك في « تعقيبات » العدد (٨١٥) من الرسالة ، تحت عنوان « لحظات مع أمير الشعراء » ، ومهما يكن من شيء ، فإن رأيي في شعر الرجل ، هو رأيي في شعر الأداء النفسي ، ولعلي قد أشرت إلى مكانة شعره حين أفضت في الحديث عن مكانة ذلك الأداء في موازين النقد … وللأديب الفاضل خالص الشكر وعاطر التحية .

إلى الصديق الفاضل صاحب « بيروت المساء » :

قرأت في آخر عدد تلقيته من جريدتكم منذ أيام ، مقالاً ثائراً تحت عنوان ضخم : « المداوي يهجم على أدباء لبنان » … وكان مصدر الثورة أنني قلت للأستاذ سهيل إدريس على صفحات « الرسالة » وأنا أتحدث عن قصته « سراب » ، مشيراً إلى حملات خصومه من كتاب لبنان على إنتاجه القصصي : « … فلم لا ترفع معول الهدم لتهوى به على الأصنام ، ولم لا تشق طريقك على أشلاء الجثث المحنطة في توابيت الأدب » ؟ !

قلت هذا للأستاذ إدريس بالأمس ، فإذا أحد كتابكم يهاجمني اليوم على صفحات « بيروت المساء » مؤكداً أنني قد

تهجمت على أدباء لبنـان ... معذرة إذا قلت لك إن هذا القول تنقصه الدقة فى التعبير ، وتعوزه الأمانة فى تصوير الواقع . الحق أننى لم أتهجم على « أدباء » لبنان ، ولكننى تهجمت على « أنصاف الأدباء » فى لبنـان ، ولهذا لم تثر كلمتى سخط الفريق الأول ، ولكنها أثارت سخط الفريق الأخير !! ...

ومعذرة مرة أخرى إذا وجهت إليك الحديث وأهملت ذلك الكاتب الذى كان يعنينى بكلماته ... إننى ما تعودتُ قط أن أخاطب المجهولين ! ولقد قلت لنفسى بعد أن فرغتُ من قراءة كلمته : كيف لم أسمع باسمه إلا اليوم ، أنا الذى تمر ذاكرتى المتواضعة أسماء رجال الأدب فى لبنان ، منذ أن وُجد فى لبنان أدب وأدباء ؟! ... اسم الكاتب الفاضل « على شرف » ، هل تسمح بأن تمدنى ببعض ما تعرف عن مؤهلات الكاتب الفاضل؟ لستُ أعنى مؤهلاته الدراسية ، وإنما أعنى مُؤهلاته الثقافية ، أتدرى لماذا ؟ لأننى حاولت أكثر من مرة — وذلك على ضوء كلماته — حاولت أن أنصف ثقافته حيث لم تنصف الأيام اسمه ... ولكننى لم أستطع !!

كل ما خرجت به من مقال الكاتب الفاضل ، هو أنه أراد أن يلقى علىّ دروسه القيمة فى أصول النقد الأدبى ...

أرجو أن تنقل إليه هاتين الكلمتين : لقد هزلت ! ذلك لأننى — والحق يقال — قد تعلمت أصول النقد الأدبى قبل أن يتعلم الكاتب الفاضل حروف الهجاء العربية ... إن من المضحك حقاً أن يتوهم الكاتب الفاضل أننى قد تهجمت على « أدباء » لبنـان ، وأشدّ من ذلك إضحاكاً أن يغضب علىّ تلك الغضبة المضرية متوهماً مرة أخرى أنه من أدباء لبنان ، وقاتل الله مركب النقص حين يحلق بأصحابه على أجنحة الوهم فى كل أفق تهبط عليهم فيه عرائس الخيال !! ... إنه يسألنى أن أشرح له ماذا أعنى « بطبقات القصة » تلك التى « حددتها القـاييس » ، ويسألنى عن « اكمال التصميم الفنى » وأهميته قبل الشروع فى البناء ، ويسألنى ويسألنى ؛ وقاتل الله الفراغ ... وبعد ذلك يفغر فاه من الدهشة ويخبط كفاً بكف من شدة العجب : كيف واتتنى الجرأة على القول بأن فى لبنان بعض الجثث المحنطة فى توابيت الأدب ؟ !

إن فى لبنان « أدباء » أقدرهم وأعتز بهم ، وكثيرون منهم يعطرون صفحات « بيروت المساء » بإنتاجهم الأدبى الممتاز ...

الكرامة العقلية فى حفلة تكريم أم كلثوم :

تهافت كثير من كتابنا وشعرائنا على حفلة تكريم الآنسة أم كلثوم تهافتاً يدل على أن « الوفاء » و « عرفان الجميل » فى مصر بخير ، وأشـاد بعضهم « بوطنية » الآنسة أم كلثوم و« فضلها » على أبناء الوطن إشادة تبشر أيضاً بأن موازين أصحاب القلم فى مصر بخير ، أما حفلة التكريم فقد أقيمت رغبة فى تسجيل كل هذه « القيم » بمناسبة عودة المطربة الكبيرة من البلاد الأوربية ... ولكننى أعلم مثلا أن الدكتور طه حسين قد سافر إلى الخارج وعاد إلى وطنه أكثر من مرة ، وكذلك عاد الأستاذ توفيق الحكيم من فرنسا منذ أيام ، ومع ذلك فلم يفكر أحد من هؤلاء السادة فى تكريم الرجلين . وأعلم أيضاً أن مطران قدمات وأن المازنى قدمات ، ومع ذلك فلم يتهافت أحد من هؤلاء السادة بمثل هذا التهافت على تأبين الراحلين ... بل إن صوتاً واحداً من أصوات هؤلاء السادة لم يرتفع منادياً بمنح أولاد المازنى مجانية تعينهم على مواصلة التعليم ، بعد أن طرقوا كل باب وما من سميع ولا من مجيب ! !

معنى هذا أن رجلا كطه أو الحكيم أو المازنى أو مطران ، هؤلاء جميعاً فى ميزان كتابنا وشعرائنا ليس لهم من الفضل فى توجيه الجيل بعض ما للآنسة أم كلثوم ... بل إن صحافتنا الوقرة لم تكتب مثلا عن حفلة استقبال الأستاذ الزيات وزميله فى مجمع اللغة إلا سطوراً فى حين أنها خصصت من صفحاتها أعمدة كاملة لحفلة استقبال المطربة الكبيرة !

أيها الأدباء ، أيها الشعراء ، أيها الصحفيون ... شيئاً من الكرامة العقلية ! !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تكريم أم كلثوم :

في يوم الأربعاء الماضي احتفلت الهيئات الموسيقية في مصر بتكريم كوكب الشرق الآنسة أم كلثوم بدار معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية ، لمناسبة عودتها من أوربا ، تعبيراً عن السرور بشفاء عينيها واطمئنانها على صحتهما بعد أن قلقت عليهما وامتنعت عن الغناء فشاركها الناس الأسف واكتأبوا لما نالها من الهم . فلما عادت سالمة قريرة إلى الوادي لتشدو في مغانيه ، انبعثت النشوة في جوانبه وسرت الفرحة في أرجائه ، ثم تبلورت بعض المشاعر في هذا الحفل .

ولئن اجتمعت الهيئات الموسيقية على تكريم أم كلثوم ، لقد كرمت هي الموسيقى والغناء ، ورفعت شأن الفن وأهله في هذا العصر بفنها العالي وشخصيتها المترفعة . ولم يكن تكريم أم كلثوم قاصراً على الهيئات الموسيقية التي نظمت الحفل ودعت إليه ، وإنما كان تكريم مصر كلها لهدية السرور إلى قلوب أبنائها ، تكلم بلسانها أعلامها من شعراء وخطباء ، وإن أم كلثوم لأهل لكل تكريم ، فهي ثروة فنية طائلة ، وإن اهتم الناس في مصر بتكريمها وتقاعدوا عن تقدير غيرها من الأدباء والفنانين ، فقد أدوا واجبهم نحوها وقصروا في حق من أهملوه .

ألقيت في الحفل كلمات مناسبة للمقام من ممثلي الهيئات الموسيقية ، وخطب الأستاذ توفيق دياب بك ؛ وألقيت قصائد للأستاذ عباس محمود العقاد والأستاذ عزيز أباظه باشا والدكتور ابراهيم ناجي والأستاذ كامل الشناوي ، وأزجال للأستاذ بديع خيري والأستاذ بيرم التونسي والدكتور سعيد عبده ، وختم الحفل بكلمة الشكر من المحتفل بتكريمها ، وما أبلغها كلمة ! غنت لمكرميها رداً للتحية ، فأعطت أكثر مما أخذت .

وتخلل ذلك غناء موسيقي ، وقد قدم الموسيقيون ألواناً من عزفهم وفنوناً من ألحانهم ، فردوا اعتبار الفن إليه بعد طول ما أساءت إليه الإذاعة بما تقدم من الغث المجوج والمعاد المملول . ومما يذكر بالإعجاب قدرة الموسيقيين المصريين على عزف بعض القطع الرائعة من الموسيقى العالمية ، ولاسيما الذي عزف موسيقى الباليه . وقد أبدع « خماسي مجلس الإدارة » الذي يتكون أصحابه من خمسة أعضاء بمجلس إدارة نقابة الموسيقيين المحترفين ، وكانت موسيقى على فراج بارعة ، وقد نبغ هذا الفنان في الموسيقى التصويرية التي قدم منها قطعة « فرح القرية » فأجاد .

ونلقي بعد ذلك — أيها السادة — نظرات إلى القصائد التي ألقيت في الحفلة . كانت قصيدة الأستاذ العقاد جيدة ، كان فيها شاعراً بخواطره ، وكاتباً بطبيعية السياق وسهولة الأداء واتساق الأفكار . قال في مطلعها :

هلل الشرق بالدعاء ... كوكب الشرق في السماء

ثم قال يخاطب أم كلثوم :

أنظري في وجوههم ... تمرق نضرة الوفاء
كلهم ود لو يغني ... من البشر والصفاء
لو يقدر السرور نشدو ... غلبنـــاك بالغناء

ثم يصف صوتها بقوله :

فيه أنس لمن يشا ... ء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجى ســـلا ... م وللمشتكي عزاء
فيه حرز من الهمو ... م وعون على القضاء
أي نفس إذا ترنـ ... ـت لا تهزم الشقاء

وابتدأ الأستاذ عزيز أباظه باشا قصيدته بقوله :

سميت في زحمة الأعـــلام أسكب من
قلبي الولاء ومن عليـــا سرائره
في مهرجان حباه الفن روعته ... وزانه بالأوالي من عشائره
وقلت أدلف للتاريخ تفرضني ... على مشارفه كبرى منائره

وباقي القصيدة على هذا النحو من قوة التعبير ، وقد أخذ يفتن في معانيه وخواطره حتى قال :

ما أنت إلا اعتذار الدهر قربه ... لكل عان ومظلوم ومكلوم

ما أنت إلا ابتسام الله جاذبه
ورحمة الله عمت كل محروم

وهي خواطر يفوح منها عبير الشعر .

وقد قال :

يا أم كلثوم بعض الشعر ما برحت
آثاره تتجلى في مآثره

ثم أعقب هذا بأبيات تحدث فيها عن اعتلال أم كلثوم والأسى له ، وحمد الله على أنه عاد للروض بهجته ثم قال :

ألم أقل لك إن الشعر ما برحت
آثاره تتجلى في مآثره

ولم أفهم آثار الشعر ومآثره ولا موقعها مما بين البيتين ، ولعله يريد بمآثر الشعر فرصة التكريم التي كان أول سببها محنة المرض ، ولكن كيف تتجلى فيها آثاره ؟

أما الدكتور ابراهيم ناجي فيظهر أنه كد شاعريته في هذه القصيدة حتى أتعبها فحرص على أن يحلق ، فحلق ، ولكن جناحيه لم يقويا كثيراً على التحليق ، فجاءت القصيدة أقل من مستوى شعره . ومن تحليقه قوله :

تسمي ، في العلى همس وأغنية
أذاك صوتك أم في الخلد تنزيل
على الثرى لك أكباد مصفقة
وفي السموات إكبار وتهليل

وقوله محدثاً عن الفن :

تشكول الأسبوع

[illegible] (١٤ أكتوبر) الذكرى السابعة [illegible] أحمد شوقي بك والغريب أني لم أر في صحيفة [illegible] هذه الذكرى في هذا العام ، أفلا يجدر بنا [illegible] يوم نسيان شوقي » .

[illegible] وزارة الخارجية أنه سيقام مهرجان للاحتفال [illegible] موسيقار شوبان في شهر ديسمبر القادم ، [illegible] يرغب من المصريين في العزف على البيان ، [illegible] .

[illegible] اللغوي في الجلسة الماضية فتح باب الترشيح [illegible] خلا بوفاة المازني على أن يقفل بعد شهر [illegible] الكرسيين الخاليين من قبل بوفاة الدكتور [illegible] والمستشرق فيشر . وقد رشح إلى الآن اثنان هما [illegible] والدكتور أحمد عمار .

[illegible] العربية من لندن ، أن الدكتور طه حسين [illegible] في معهد الدراسات الشرقية بجامعة [illegible] في مستهل المحاضرة الأولى عن تقدير الأوساط [illegible] البريطانية . وقال إنها تلقن الناس حرية [illegible] أنهم يطلقون هناك على الدكتور طه [illegible] .

[illegible] طه حسين بك للحصول على جائزة نوبل [illegible] وقد أيد ترشيحه الكاتب الفرنسي أندريه [illegible] في العام الماضي ، وانضم إليه في تأييد هذا [illegible] أدوار هريو والمستشرق ماسينيون

[illegible] الأستاذ كامل كيلاني — ليلة الاحتفال بإلغاء المحاكم [illegible] : [illegible] الرجل أي جن وذهب عقله ، فهل كانت [illegible] مجنونة ؟

[illegible] الأستاذ سامي العظم بك إنه لما كان وكيلا لوزارة [illegible] ، لاحظ من الإحصاء أن كل القضايا التي تقدم بها [illegible] حكم لهم فيها ضد السوريين . فذكر ذلك أمام [illegible] : إنه لا داعي إلى وجود محاكم الأجانب في [illegible] تحمل وزارة المالية المبلغ الذي يطلبه الأجنبي [illegible] مجموع ذلك ما تنفقه خزانة الدولة على محاكم [illegible] .

[illegible] مصري يوم الجمعة الماضي ، حفلة استقبال [illegible] من سفارة الباكستان ولفيف من الأدباء [illegible] . وقد تكلم الدكتور حسين الهمداني الملحق [illegible] ، فعبر عن سروره بالفرصة التي تهيأ [illegible] ، وأشاد بالصلات الروحية التي تربط بين [illegible] .

[illegible] أمين بك في كلمته الأخيرة بالمجمع اللغوي : [illegible] لا تعترف بالفعل المبني للمجهول ، إلا في قولهم : [illegible] .

وحسبه وقطوف منك دانية
بأنه في وجوه العيش تجميل

فما أبدع صورة الحياة مجملا وجهها بآيات الفن !

وقد قال عن النيل يرنو نحو أم كلثوم :

جرى النسيم على وجه الغدير به
كأنه في شفاه الفن تقبيل

وأدع لفظ « الغدير » قلقاً في موضعه هنا ، وأنظر في جرى النسيم على صفحة الماء ، هل يصلح تقبيلاً في شفاه الفن ؟ وما جدوى تمثيل الفن شخصاً له شفاه فيها تقبيل يشبهها النسيم ؟ لا أستطيع أن أخرج من ذلك بشيء .

وألقى الأستاذ كامل الشناوي قصيدة حاول فيها أن يخدع برنات كلماتها وقوافيها ، وهذا مطلعها :

فديتها منحة ، السحر أعطاها
والسحر والشعر شيء من عطاياها

وفيه ترى السحر من عطاياها وهي من عطايا السحر ... أي أنهما يتعاطيان ! وقد جانبه التوفيق « الذوق » في مقارنته بين أم كلثوم وانقسام الذرة ... لأنهما يتنافسان على المجد في هذا الأوان ! ويتساءل أيهما أولى بالمباهاة ، ويجيب :

الفن . أولى ففيه رحمة وهدى
الفن قنبلة تأسو شظاياها

ولست أدرى كيف يكون الفن رحمة وهدى وقنبلة ذات شظايا .. ولا إخال الأستاذ إلا معتزاً بأن جمل شظايا القنبلة تأسو ولكنا لا نأمنها ، وما انفجار الذخيرة فى جبل المقطم ببعيد .

وفى القصيدة أبيات لا بأس بها منها :

الصوت بعض هداياها وقدفتنت   به الخلود فأمسى من هداياها

السندباد البحرى :

عرض أخيراً بسينما (ديانا) فلم « السندباد البحرى » وهو معرب بأصوات ممثلين وممثلات مصريين ، والفلم يقوم على أسطورة من أساطير «ألف ليلة وليلة» فيعرض مغامرات السندباد البحرى العجيبة ، وما تعرض له خلالها من أهوال ، وما بذله من جهود خارقة فى التغلب عليها ، فقد أغرق « الأمير أحمد » وأخذ (مداليته) السحرية التى مكنته من قهر خصومه وخاصة الأمير الهندى الذى ينافسه فى حب الأميرة الجميلة ، وأخيراً يدعى أنه الأمير أحمد ويذهب إلى أبيه — أبى الأمير — « اسكندر » كاتم سر «الكنز» الذى يبوح بالسر له وللأمير الهندى ورجل آخر يدعى « عبد الملك الحلاق » فيفرح هذان بمحتويات الكنز ولكنهما يموتان دون الانتفاع بشىء منها ، أما السندباد البطل النوار فيفوز بالأميرة الفاتنة ولا يلقى بالا إلى المال .

ويقال فى تقديم هذا الفلم إنه يمثل سحر الشرق وعظمة الشرق ، وأنا — والله — لم أجد فيه للشرق رائحة ، فضلا عن السحر والعظمة ... ولكن أقول إنه يمثل الشرق الذى يتصوره أولئك الغربيون أو يحلو لهم أن يتصوروه ، لا فى هذا الفلم فقط بل فى أشباهه « كلص بغداد » و « ألف ليلة وليلة » من تلك الخرافات التى يحب الغربيون أن يتخذوا منها صوراً لحياة البلاد الشرقية فى العصور الماضية ، وكأنهم يهربون مع خيال هذه الأساطير من واقع الشرق نفسه فى تلك العصور ، كما يهرب من يزور مصر منهم من حاضرها وحياتها المعاصرة إلى الأهرام وأبى الهول .

وليتهم يوفقون فى تصوير الروح الشرقية والجو الشرقى فى تلك الأفلام التى نرى فيها أشخاصاً وأشياء لاهى شرقية ولا غربية فهم يمسخونها كما يمسخ بعض المؤلفين والمخرجين عندنا الأفلام الغربية ويدعون أنها مصرية مؤلفة ، هؤلاء كأولئك ، حذو الفلم بالفلم .

وفلم « السندباد البحرى » يعرض بالألوان الطبيعية ، وهم يختارون أجمل الممثلات فى مثل هذا الفلم ، وأعترف بعبقرية المخرج إذ قدم لنا « الأميرة الفاتنة » كأى فتاة عصرية فى كل شىء ، تلبس الثياب (على آخر مودة) ! والممثلون يلبسون (البنطلونات) وأجسامهم الحمراء تنطق بـ (السكسونية) الصارخة ، يختلط كل ذلك بمناظر التعذيب المفزعة إذ تهوى السياط على الأبدان فتمزقها كما كان يصنع الشرقيون فى غابر الأزمان وسالف العصر والأوان!

ويظهر أن المشاهدين يصبرون على متابعة الفلم ، مستمدين الجلد عليها من القوة السحرية الخارقة التى يتمتع بها السندباد البحرى ، على الرغم مما يلاقونه من أهوال فى تلك المشاهدة ، كأهوال السندباد . ولكن يخرج من أهواله بالأميرة الحسناء ، أما نحن — المساكين — فنخرج مصدعى الرءوس ، وقد يذهل الفتى عن فتاته التى دخلت معه متعلقة بذراعه .

حقاً إن السندباد خطب فى آخر الفلم ، مبيناً أن المال لا قيمة له فى سعادة الإنسان ، وإنما السعادة الحقيقية هى سعادة القلب والفكر ومن أجل ذلك داس جواهر الكنز ولم يعبأ بها مكتفياً بفاتنته الأميرة ، ولكن الفلم لم يعرض لنا ذلك عرضاً عملياً يجعلنا نستخلص العبر من الحوادث ولم يضعنا فى جو طبيعى ندرك منه ذلك ؛ وقد يقال إن القصة خرافة ، ولكن ما هدف هذه الخرافة غير قلب الدماغ بتلك الحوادث التى لا تحمل متعة فنية لذوق سليم ، وغير وقع القلب بالوعظ فى آخر الأمر ؟

والذى يؤسف له أن يكون ذلك هو ثمرة تعريب الأفلام (دبلجتها) وقد كتبت فى هذا الموضوع عند ما هب السينمائيون المصريون يعارضون تعريب الأفلام فى العام الماضى ، وبينت أن هذه المعارضة حركة تجارية ، وأن الفائدة التى نجنيها من تعريب الأفلام الجيدة محققة . وإذا كنا نعرب الكتب مقتنعين بفائدتها فلم نمنع تعريب الأفلام ؟ ولكن أى الأفلام نعرب ؟ هذه هى المسألة التى نراها تواجهنا الآن ، وكل ما يجب هو حسن الاختيار .

عباس خضر



حيـــوان أليف

للكاتب الياباني شيما زاكي توسون

بقلم الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

لازمها سوء حظها منذ ولادتها . لقد أقبلت إلى العالم بشعر قصير أشهب ، وأذنين واقفتين ، وعينين تشبهان عيني الثعلب . إن كل ما يدعى حيواناً أليفاً يتحلى بصفات تجذب شعور الصداقة بينه وبين الناس . بيد أنها لم تكن حائزة أية صفة منها . ولم يكن يبدو على ملامحها ما يحببها إلى البشر . كانت تعوزها خواص الحيوان الأليف . وبطبيعة الحال ، أهملوا أمرها .

ومع ذلك ، كانت كلبة : حيواناً لا يستطيع أن يعيش منفرداً . وكان من المستحيل عليها أن تنبذ عادتها الموروثة في أن يجود عليها الناس بالطعام . ولذلك أخذت تبحث عن دار تلائمها .

وهام ذلك الكائن المجهد في ضيعة كن سان المزارع ، وكان قد انتهى من إنشاء الدار الجديدة ذات السقف الخشبي ، القائمة بجوار طريق قرية إكوبو بحيث يستطيع أي إنسان أن يقصد الطريق الرئيسي من خلال فنائها الخلفي . وكانت أرضيتها مرتفعة وتربتها جافة ، فضلا عن أنه كان بها فناء ضيق حالك ذو فرجة بين مدخله والحاجز القائم بين هذه الدار وتلك التي تليها ، تستطيع فيها أن تخفي نفسها في الحال عندما يقضي الأمر ذلك . ولم تتوان لحظة في احتلال هذا المخبأ الكائن تحت الأرض .

ثم دعتها الحاجة الملحة إلى الحصول على الطعام . وأرشدها أنفها الحساس إلى الطريق صوب المطبخ . ولم يكن لديها وقت للاختيار ، فقد كانت جائعة . فأخذت تأكل ما يصادفها : قشور الفاكهة ، وحساء بارد نتن الرائحة ، وأوعية من الطعام الفاسد . فإذا لم يكفها كل هـذا ، قامت تتشمم ما حولها ، حتى كومة الغبار ، وتصيد أقصى ما تستطيع تصيده . ووجدت هناك جوارب قذرة مشربة بماء الغسيل بجوار الحائط ، فجعلت تشرب الماء المتساقط منها في سرور .

كانت هناك في الحديقة شجرة قديمة ، فعزمت على أن تجعل من ظلالها موضعاً لراحتها ، فتمدد أقدامها الأربع على الأرض الدافئة من حرارة الشمس الساطعة خلال الأفنان . وتتثاءب أو تحك مواضع في جسمها . وعندما يأتي المساء تدلف إلى ملجأها تحت الأرض وترقد على أجولة الفحم . وهكذا بدأت حياتها .

كانت عائلة كن سان تحتفظ في ذلك الوقت بكلب أسمر اللون يدعى بوتشي . وكان الحيوان الوحيد الذي يقابل بالترحاب . وكان يبدو أنه ذو طبيعة اجتماعية ، فقد كان يتقرب إليها في أدب وهو يحفر الأرض ، فترد عليه تحيته بهز ذنبها القذر .

بيد أن كن سان وغيره من أولئك الذين يعيشون في ضيعته ، لم يرحبوا بها كما رحبوا ببوتشي . وصاح أحـدهم « أليس من الخسارة الكبرى أن يكون الفرد قبيحاً حتى بين الحيوانات ؟ » فيرد آخر « لو كانت ذات مسحة من الجمال لاحتفظت بها ! » بيد أن كل هذا لم يكن له معنى عندها .

ودعاها هؤلاء الناس «بب» . وكانت لـكل دار « عمة » : لقب يضفى على ربة الدار . وكانت العمات والأولاد يشتركن في كراهيتهم لها ويصرخون فيها . أما الأعمام فقد كانوا فظعاء . إن أقل إهمال أو انتباه تجعلها طريدتهم . وكثيراً ما ألقوا عليها الأحجار وكرات الطين وأسياخ المدفأة . وفي ذات مرة أصابها مقبض باب ، فسبب لها جرحاً في إحدى مؤخرتيها .

وشيئاً فشيئاً ، أخذت تفهم العقلية البشرية : معنى زم الفم ، والقيام بالتقاط شيء ، وهز الأكتاف ، وعض الشفاه . كانت كل هذه الانفعالات الثائرة ضدها ، قد بينت لها مدى كراهية مطارديها . وكادت في ذات يوم أن تساق لتغرق في الخليج . ولا يستطيع أحد أن يعرف كيف وجدت سبيلها إلى الهرب ! كان الناس يصيحون « استحضروا الحبل . الحبل ! » وكانت يائسة ، فجعلت تعدو خلال الحديقة ، بين الشجيرات . وذهبت صوب الفرن ثم استدارت حول مخزن الغلال ، وأخيراً فرت إلى الحقول حيث تنمو الزهور التي تباع في الأعياد .

وصاح أحد الأعمام : « لقد فرّت أخيراً ! » فرد كن سان وهو يضحك ضحكة رجل طيب « أليست شيئاً متعباً ؟ »

وتكررت مثل هذه التجربة القاسية . ولكنها لم تكن بالتى تقهر من مثل هذه الأعمال . ينبغى لها أن تبحث عن طعامها فى هدوء وفى مظهر من يقول « إن هذه أرضى » . وكانت تتقدم إلى المطبخ الجديد فى شجاعة ، أو تذهب إلى الشرفة بأقدامها القذرة ، فتمزق الستائر ، وتلهو بما تغسله الماهات من ملبوسات وتلطخها بالطمى والغبار . ولم يكن لها اعتبار عند الأطفال . كان لهذه العائلة فتاة تدعى شوكان . وكانت تميل إلى اللعب فى الفناء ، فكانت الكلبة تطاردها مداعبة . وكانت الفتاة أحياناً ما تستحضر معها قطعة من الكعك ، وتظهرها لها قائلة: « انظرى ! انظرى يا بب ! »

وسرعان ما تقفز على كوشان ، فيتعالى صراخ الفتاة « أوه ، ماماه ، إن بب شريرة ! » وكانت هذه دائماً صرخة كوشان فى طلب المعونة . فتقبل عندئذ الماهات مسرعات وينادين كوشان : « اهربى يا كوشان ! فى سرعة ! » فتفر الفتاة باكية ولم يبق معها شئ من الكعك . لقد أخذته الكلبة منها ، وبذلك حصلت على الحلوى التى تأكلها الناس ، وبعد ما تنتهى من أكلها ، تلعق طرف أنفها بلسانها الأحمر

ومهما يكن من الأمر ، فقد كانت لا تتعمد ما تقوم به من حركات ، طيبة كانت أو شريرة . وكانت هذه الكلمات التى تسمعها من أفواه الأعمام والماهات لا تفهم لها معنى . فلم يكن لها طبيعة فهم تقاليد الناس المتمدينين وأحوالهم ، لم تكن سوى كلبة سواء أكانت أفعالها مؤدبة أو خالية من الأدب . إنها حيوان مسكين يعمل كما توحى إليه طبيعته

ومر الشتاء القارس البائس ، ولم تزل تتألم من هذه المعاملة ، معاملة طردها ، وكان من العجيب ألا تموت جوعاً فى ذلك الشتاء لقد كانت المخلوقات البشرية فى حالة محزنة ، فكيف إذاً يستغنون عن حفنات من أرزهم البارد لهذا الحيوان الجاهل ، تلك الكلبة المتعبة التى لا تنفع فى شيء ؟ وكانت تهيم فى الأماكن النائية ، فتبتلع بما تجده من أشياء ، حتى قشور البرتقال

ثم أقبل الربيع ، وأخذ الجليد فى الذوبان ، وبدت الكلبة كأنما تعاودها ، وكانت كل الكلاب تتجمع حولها : بوتشى الذى يقطن دار كن سو ، وكورو الذى يعيش بدار الاستحمام ، وآكا الذى يحرس مسكن تاجر الخشب ، وذلك الكلب الضخم الذى يخص الجيران . وكان يتبعها ثلاثة أو أربعة منها أينما ذهبت وكان الموضع المريح فى ظلال الشجرة الكائنة بالفناء مرتعاً لصدى هريرها وكأنها تود أن تهمس إليها بكلمات الغزل

ولاحظت ذلك المشهد عمة مقبلة نحو البئر الجانبية ، وقد حملت معها دلواً ، فقالت : « يا إلهى إن بب كلبة أنثى ! إنى لم ألاحظ ذلك من قبل ! »

فردّت عمة من الدّار الجديدة شاهدت أيضاً ما يحدث « ولا أنا »

وضحكت ال تان وجعلتا تنظران إلى ذلك المشهد فى اهتمام « يجب أن تنق » . كان هذا منشأ الجدال الذى استمر فى ضيعة كن سان بين أعضاء عائلتين من العائلات الأربع . ثم انقسموا إلى حزبين : حزب الأعمام ، وحزب الماهات . كانت الماهات يصرحن أن الأمر قد أصبح مختلفاً . أن حالتها الآن مثارة لما كانت عليه فى الماضى . وكن فى جدلهن كأنما يقارن أنفسهن بها (وقد يكون هناك وجه للمقارنة) . وكان الأعمام يعارضون فى إنجابها ذرية . إنه من الفظاعة أن تلد أولاداً على شاكلتها . وفى الحق ، لم يكن هناك من يهتم بمستقبلها . ولم تكن الكلبة تعرف شيئاً عن كل ذلك .

وما إن مر يوم حتى وقفت مركبة بجوار دار كن سان ، يعلوها صندوق بلا غطاء ، مغطى بقطعة قذرة من الحصير . وتشمم أنفها فى سرعة ما الذى فى المركبة .

وأقبل شرطى يتبعه رجل ذو نظرات مريبة . ودلفا إلى الدار . بيد أنها لم تكن تحوم فى مثل هذه الأماكن الخطرة . وأخذ بوتشى وكورو وغيرهما من الكلاب فى النباح . وأقبل الأعمام والماهات وكل سكان القرية . وصاحت كوشان « صياد الكلاب يا ماما ! » ثم اختبأت خلف والدتها .

وجرى الناس حول الحديقة . وشاركهم فى العدو صبى من مدرسة متوسطة كان يرسم صورة بالألوان المائية ، وقد أمسك بحامل الرسم ، وابنة كن سان وكانت تقوم برى الزهور .

« لقد هربت من هنا ! لقد ولت من هناك ! » .

وارتبك القـوم فى عجب . ثم قالت كوشان وهى ترجف « من المؤكد أن بب قد قتلت » .

وأخيراً استطاعت الهرب . وهز رجل ممسك فى يده هراوة غليظة فى غيظ . وقال الشرطى « لا فائدة ، لا فائدة » وضحك وهو يسير صوب الباب . ثم انسحب هو ورفيقه إلى المركبة الفارغة يجران وراءهما ذيول الخيبة .

لقد هربت على أية حال ، ونجت بجـلدها . ومرت الأيام وتضخمت بطنها ، وأخذت عيناها تتلونان بلون غير ثابت من القلق . إنها لن تحافظ الآن على نفسها فحسب ، بل يجب عليها أيضاً أن تحمى أولادها فى بطنها . إن ظـلال الشجرة لم تعد مأمونة ، وحتى عنـدما كانت ترقد على الأرض الندية ، وهى تلهث مما اعتراها من ألم . سرعان ما كانت تهب واقفة عنـدما تشاهد خيال إنسان ما ، يجب ألا تتهاون ولو لحظة واحدة ، وكان يلوح فى عينيها أنه ليس هناك من أشد قسوة وأقل رحمة من الكائن البشرى .

بيد أنه على الرغم من خوفها ، كانت لا تستطيع الابتعاد عن الدار . وقد يبدو فى عين الرائى ، أنها قد تـكون فى راحة تامة ، كغيرها من الحيوانات ، لو ذهبت إلى الغابة النائية ، ورقدت هناك بين الأشجار والحشائش ! ولـكن ذلك لم يبد فى عينيها ، إنها لا تستطيع أن تغير من طبيعتها الوروثة

وفى أوائل شهر يونيو ، انتهت من القيام بواجبات الأمومة وظهرت أربعة جراء فى فرن كن سان ، اثنان منها جميلان يشبهان بوتشى فى لونه ، وواحد أسود فاحم ، والرابع يشبهها كثيراً .

وفى صباح يوم ولادتها ، تراءت لها للمرة الأولى ابتسامة البشر تهش بها ، وفى ذلك الصباح أيضاً قدموا إليها لأول مرة الطعام وأخذت عمة كن سان تناديها « بب ، تعالى ، تعالى » ثم أصبحت تناديها دائماً منذ ذلك اليوم ...

محمد فتحى عبد الوهاب

إعـــــلان

عن مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية

لتشجيع الانتاج الأدبي سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائز لتشجيع الإنتاج الأدبي على النحو الآتي :

أولا : تخصص مائة جنيه لكل فرع من الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء وادي النيل وحدهم .

(ا) قصة اجتماعية أو تاريخيـة ، جيدة الموضوع والأسلوب باللغة العربية الفصحى بحيث لا يقل عـدد صفحاتها عن مائتي صفحة من القطع المتوسـط الذي لا تنقص كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

(ب) إنتاج شعري باللغة العربية الفصحى لا يقل عن ١٠٠٠ بيت من الشعر في موضوعات متنوعة : في الاجتماع أو وصف الطبيعة أو تحليل المواطف أو نحو ذلك .

(ج) بحث مستوفى مبتكر في موضوع لغوي أو أدبي يسير على المنهج العلمي الحديث وتظهر فيه شخصية الباحث ، ولا يقل عدد صفحاته عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة .

ثانياً : تخصص لأدباء وادي النيل وغيره جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يترجم لابن سينا ترجمة وافية دقيقة تصور حياته ونواحيه الفلسفية والعلمية والأدبية في أسلوب رائق بحيث لا ينقص عدد الصفحات عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تقل كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

وعلى الراغبين في الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع أربع نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥٠

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له في فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا أن يعاد تقديم أي إنتاج أدبي سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة في غير المجمع ، أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية .

ويشترط في الموضوع المقدم لكل هذه المسابقات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٩٤٥ ، وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع قصر العيني ١١٠ القاهرة .

٣٠٧٩

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة فى الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى الفنادق المبينة بعد :

اسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة (مليم جنيه)
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	٩٣٠ ر ١٦
فندق كاتاركت بأسوان	« « «	١٢٠ ر ١٩
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٠٨٠ ر ١٥
	« « « « الثانية	٤٢٥ ر ٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠ ر ١٧
	« « « « الثانية	٠٩ ر ١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٢٠٠ ر ١٤
	« « « « « الثانية	٤٤٥ ر ٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠ ر ١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥ ر ٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠ ر ١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥ ر ٦

مطبعة الرسالة